

الأخوة

والإخلاق الإسلامية

والتعاون بين المؤمنين

سماحة الشيخ

عبدالعظيم بن عبد الله بن براهيم

رحمه الله تعالى

وجوب العناية

بالإخوة المسلمين أفراداً وجماعات^(١)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير الخلق أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.. أما بعد:

أيها الإخوة في الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ويقول سبحانه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ [آل عمران: ٩٢].

ويقول سبحانه: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].



الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٧/ ٣٥٢-٣٥٥).

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً»^(٢) وشبك بين أصابعه.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»^(٣).

هذه الأدلة وغيرها من الكتاب والسنة تدعوننا إلى العناية والاهتمام بإخواننا المسلمين أفراداً وجماعات في كل بقاع الأرض،

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، رقم (٦٠٢٧)؛ ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم (٢٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم (٢٤٤٢)؛ ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٨٠).

وتفقد أحوالهم، ومعرفة واقعهم، وتحسس آلامهم، ورصد احتياجاتهم، ومعرفة مطالبهم، ثم العمل على مساعدتهم كلٌّ بحسب استطاعته، مع العناية بتقديم الأهم على المهم وهكذا.

فهناك من المسلمين في بلاد المسلمين، وفي غيرها من البلدان الأخرى من يحتاجون إلى الطعام والكساء، وهناك من يحتاج إلى التعليم والتدريب، وهناك من يحتاج إلى الكتاب والمدرسة، وهناك من يحتاج إلى بناء مسجد تقام فيه الصلاة ويذكر فيه اسم الله، وهناك من يحتاج إلى المدرس والمرشد والداعية إلى الله يذكروهم بالله، ويبين لهم حقيقة الإسلام، ويوضح له أحكام دينهم حتى يعبدوا الله على هدى وبصيرة. وهؤلاء وأولئك يحتاجون إلى الطبيب وإلى المستشفى لعلاج مرضاهم، وإلى المأوى المناسب يقيهم الحر والبرد، ويحفظ لهم إنسانيتهم وكرامتهم.

أيها الإخوان: لا يخفى عليكم ما يعانيه الكثير من إخوانكم المسلمين في سائر بلاد الله من فقر وجهل وبؤس وحرمان وبطالة ومرض وجهل بأحكام الدين مما يوجب التعاون ومضاعفة

الجهد لحماية الإنسان المسلم، وإنقاذه من أسباب الهلاك، وإن هذه المؤسسة المباركة الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية هي منشأة خيرة، جديرة بكل دعم وتشجيع ومساندة، فأهدافها وغاياتها واضحة، وهي: العناية بمعرفة آلام المسلمين، ومعالجة مشاكلهم أينما كانوا، والحفاظ على هويتهم الإسلامية، وعطاؤها للعالم الإسلامي كله.

ومن أبرز صفات هذه الهيئة: أنها لا تتسم بصفة بيئية، أو تنخرط في انتهايات معينة مهما كان نوعها إلا الانتماء الإسلامي الخيري المستلهم من كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله ﷺ؛ لذا فإنني أدعو جميع أهل الخير ممن وهبهم الله المال، وأعطاهم سعة في الرزق أن يبادروا في الإنفاق في سبيل الله، وذلك بدعم هذه المنشأة الخيرية بالمال، والإسهام في مشاريعها المتنوعة، لكي تتمكن من القيام بأعمالها، وتحقيق أهدافها الإسلامية النافعة، وقد وعد الله المنفقين بالخلف في الدنيا وفي الآخرة. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ

الرَّزْقِينَ ۗ ﴿ [سبأ: ٣٩].

وَقَالَ: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ

خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۗ ﴿ [المزمل: ٢٠].

ومن الأمور المعتمدة لدعم هذه الهيئة الخيرية أن القائمين عليها هم من الرجال الثقات المخلصين الذين نذروا أنفسهم، وبذلوا أموالهم، وفرغوا أوقاتهم لإيصال الخير والنفع لأكثر عدد من المحتاجين من المسلمين، فهذا مما يشجع المسلم ويطمئنه إلى أن ما يبذله من مال هو في أيدي أمينة تنمبه وتزكّيه حتى يصل إلى مستحقه.

إخواني: وبهذه المناسبة فإنني أوصيكم ونفسي بتقوى الله سبحانه وتعالى ومراقبته في السر والعلن، وأوصي إخواني القائمين على أمر هذه الهيئة الخيرية أن يتقوا الله في أموالها الهيئة، وذلك بأن لا يتصرفوا فيها وينموها إلا بالطرق الشرعية الصحيحة، وأن يتعدوا عن التعامل بها في كل ما تدخله شائبة الربا، أو المعاملات المحرمة المخالفة للشريعة الإسلامية، ففي

الحديث الصحيح: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب، يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك!»^(١).

والله المسؤول أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه، وأن يمنحكم إصابة الحق في القول والعمل، وأن يعينكم على كل ما فيه إيصال الخير لمستحقه، وأن يضاعف الأجر لنا ولكم ولجميع المساهمين في هذا المشروع، وأن يتقبل من الجميع، إنه جواد كريم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم (١٠١٥).

التضامن الإسلامي^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..
أما بعد:

فلا ريب أن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الصافات: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بهذه العبادة، وبعث الرسل عليه الصلاة والسلام، وأنزل الكتب، لبيان هذا الحق، وتفصيله، والدعوة إليه، كما قال عز وجل: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢/ ١٩٠-٢٠٢).

وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]،
ومعنى قضى في هذه الآية: أمر ووصى.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي
إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ
حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾
[هود: ١-٢].

وقال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا
هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ففي هذه الآيات الكريبات الأمر بعبادته سبحانه، والتصريح

بأنه خلق الثقلين لهذه العبادة، وأرسل الرسل وأنزل الكتب
ليبينها، والدعوة إليها، وحقيقة هذه العبادة: هي طاعة الله
ورسوله ﷺ، بالإخلاص لله في جميع الأعمال، والامتثال
لأوامره، والحذر من نواهيه، والتعاون في ذلك كله، وتوجيه
القلوب إليه سبحانه، وسؤاله عز وجل جميع الحاجات عن ذل
وخضوع، وإيمان وإخلاص، وصدق وتوكل عليه سبحانه،
ورغبة ورهبة، مع القيام بالأسباب التي شرعها لعباده، وأمرهم
بها، وأباح لهم مباشرتها، وبهذا كله يستقيم أمر الدنيا والدين،
وتتظم مصالح العباد في أمر المعاش والمعاد، ولا صلاح للعباد،
ولا راحة لقلوبهم، ولا طمأنينة لضمايرهم؟ إلا بالإقبال على الله
عز وجل، والعبادة له وحده، والتعظيم لحرماته، والخضوع
لأوامره، والكف عن مناهيه، والتواصي بهم بذلك، والتعاون
عليه، والوقوف عند الحدود التي حد لعباده، كما قال عز وجل:
﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

ومن المعلوم أنه لا يتم أمر العباد فيما بينهم، ولا تنتظم مصالحهم ولا تجتمع كلمتهم، ولا يهابهم عدوهم، إلا بالتضامن الإسلامي الذي حقيقته التعاون على البر والتقوى، والتكافل والتعاطف والتناصح، والتواصي بالحق والصبر عليه، ولا شك أن هذا من أهم الواجبات الإسلامية والفرائض اللازمة، وقد نصت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، على أن التضامن الإسلامي بين المسلمين - أفراداً وجماعات حكومات وشعوباً - من أهم المهتمات، ومن الواجبات التي لا بد منها لصالح الجميع، وإقامة دينهم وحل مشاكلهم، وتوحيد صفوفهم، وجمع كلمتهم ضد عدوهم المشترك.

والنصوص الواردة في هذا الباب من الآيات والأحاديث كثيرة جداً، وهي وإن لم ترد بلفظ التضامن فقد وردت بمعناه وما يدل عليه عند أهل العلم، والأشياء بحقائقها ومعانيها لا

بألفاظها المجردة، فالتضامن معناه: التعاون والتكاتف، والتكافل والتناصر والتواصي، وما أدى هذا المعنى من الألفاظ، ويدخل في ذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله سبحانه، وإرشاد الناس إلى أسباب السعادة والنجاة، وما فيه إصلاح أمر الدنيا والآخرة، ويدخل في ذلك تعليم الجاهل، وإغاثة الملهوف، ونصر المظلوم، ورد الظالم عن ظلمه، وإقامة الحدود، وحفظ الأمن، والأخذ على أيدي المفسدين المخربين، وحماية الطرق بين المسلمين داخلاً وخارجاً، وتوفير المواصلات البرية والبحرية والجوية، والاتصالات السلوكية واللاسلكية بينهم، لتحقيق المصالح المشتركة الدينية والدنيوية، وتسهيل التعاون بين المسلمين في كل ما يحفظ الحق، ويقوم العدل، وينشر الأمن والسلام في كل مكان.

ويدخل في التضامن أيضاً الإصلاح بين المسلمين، وحل النزاع المسلح بينهم، وقتال الطائفة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِن طَافَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبَغَى حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١٠﴾ [الحجرات: ٩، ١٠].

ففي هذه الآيات الكريبات أمر الله المسلمين جميعاً بتقواه سبحانه، والقيام بالإصلاح بينهم عموماً، وبالإصلاح بين الطائفتين المتقاتلتين منهم خصوصاً، وقاتل الطائفة الباغية، حتى ترجع عن بغيتها، وأن يكون الصلح على أسس سليمة قائمة على العدل والإنصاف، لا على الميل والجور، وفيها التصريح بأن المؤمنين جميعاً إخوة وإن اختلفت ألوانهم ولغاتهم، وتناءت ديارهم، فالإسلام يجمعهم ويوحد بينهم، ويوجب عليهم العدل فيما بينهم، والتضافر، والكف عن عدوان بعضهم على بعض، ويوجب على إخوانهم الإصلاح بينهم إذا تنازعوا.

وتدل أيضاً على أن هذا النزاع والقتال بين المؤمنين لا يخرجهم من الإيمان، وهو قول أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمعتزلة، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَإِن طَافَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، فسأهم مؤمنين مع الاقتتال، وهكذا جميع المعاصي لا تُخرج المؤمن من دائرة الإيمان ما لم يستحلها، ولكنها تنقص الإيمان وتضعفه ثم ختم سبحانه هذه الآيات بالأمر بالتقوى، وعلّق الرحمة على ذلك فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فدلّ ذلك على أن تقوى الله في كل الأمور، هي سبب الرحمة والعصمة والنجاة، وصلاح الأحوال الظاهرة والباطنة.

ويدخل في التضامن أيضاً تبادل التمثيل السياسي، أو ما يقوم مقامه بين الحكومات الإسلامية، لقصد التعاون على الخير، وحل المشاكل التي تعرض بينهم بالطرق الشرعية، واختيار الرجال الأكفاء في عملهم ودينهم وأمانتهم لهذه المهمة العظيمة.

ويدخل في التضامن أيضاً توجيه وسائل الإعلام إلى ما فيه

مصلحة الجميع وسعادة الجميع في أمر الدين والدنيا، وتطهيرها مما يضاد ذلك، ومما ورد في هذا الأصل الأصيل - وهو التضامن الإسلامي والتعاون على البر والتقوى - قوله عز وجل: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أمر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة عباده المؤمنين بأن يتقوه حق تقاته، ويستمروا على ذلك، ويستقيموا عليه حتى يأتيهم الموت وهم على ذلك، وما ذلك إلا لما في تقوى الله عز وجل من صلاح الظاهر والباطن، وجمع الكلمة، وتوحيد الصف، وإعداد العبد؛ لأن يكون صالحًا مصلحًا، وهاديًا مهديًا، باذلاً النفع لإخوانه، كافي الأذى عنهم، معيناً لهم على كل خير، ولهذا أمر الله المؤمنين بعد ذلك بالاعتصام بحبله، فقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وحبل الله سبحانه هو: دينه الذي أنزل به كتابه الكريم، وبعث به رسوله الأمين، محمدًا ﷺ، والاعتصام به هو التمسك به، والعمل بما فيه، والدعوة إلى ذلك، والاجتماع عليه، حتى يكون هدف

المسلمين جميعًا، ومحورهم الذي عليه المدار، ومركز قوتهم هو اعتصامهم بحبله، وتحاكمهم إليه، وحل مشاكلهم على نوره وهداه، وبذلك تجتمع كلمتهم، ويتحد هدفهم، ويكونون ملجأ لكل مسلم في أطراف الدنيا، وغوثًا لكل ملهوف، وقلعة منيعة، وحصنًا ضد أعدائهم، وبهذا الاجتماع، وهذا الاتحاد، وهذا التضامن، تعظم هيبتهم في قلوب أعدائهم، ويستحقون النصر والتأييد من الله عز وجل، ويحفظهم سبحانه من مكائد العدو - مها كانت كثرته - كما وقع ذلك بالفعل لنبينا محمد ﷺ وصحابته الكرام ﷺ، وأتباعهم في صدر الأمة، ففتحوا البلاد، وسادوا العباد، وحكموا بالحق، وحقق الله لهم وعده الذي لا يخلف، كما قال عز وجل: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤١] الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].
 وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].
 وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ففي هذه الآيات الكريبات حث المسلمين وتشجيعهم على التمسك بدينهم، والقيام بنصره، وذلك هو نصر الله، فإنه سبحانه وتعالى في غاية الغنى عن عباده، وإنما المراد بنصره هو نصر دينه وشريعته وأوليائه، والله ناصر من نصره، وخاذل من خذله، وهو القوي العزيز.

وفي هذه الآيات أيضًا البشارة العظيمة بأن الله عز وجل ينصر من نصره، ويستخلفه في الأرض، ويمكن له، ويحفظه من مكائد الأعداء. فالواجب على المسلمين جميعًا أننا كانوا هو الاعتصام

بدين الله، والتمسك به، والتضامن فيما بينهم، والتعاون على البر والتقوى، ومناصحة من ولاه الله أمرهم، والحذر من أسباب الشقاق والخلاف، والرجوع في حل المشاكل إلى كتاب ربهم وسنة نبيه ﷺ، والتواصي في ذلك بالحق والصبر عليه، مع الحذر من طاعة النفس والشيطان، وبذلك يفلحون وينجحون، ويسلمون من كيد أعدائهم، ويكتب الله لهم العز والنصر، والتمكين في الأرض، والعاقبة الحميدة، ويؤلف بين قلوبهم، وينزع منها الغل والشحناء، وينجيهم من عذابه يوم القيامة، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»^(١).

ومما ورد في التضامن الإسلامي قوله جل وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم (١٧١٥).

إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿ [المائدة: ٢].

وهذه الآية الكريمة من أصرح الآيات في وجوب التضامن الإسلامي، الذي حقيقته ومعناه التعاون على البر والتقوى كما سلف بيان ذلك، وفيها تحذير للمسلمين من التعاون على الإثم والعدوان؛ لما في ذلك من الفساد الكبير، والعواقب الوخيمة، والتعرض لغضب الله سبحانه، وتسليط الأعداء وتفريق الكلمة، واختلاف الصفوف، وحصول التنازع المفضي إلى الفشل والخذلان. نسأل الله العافية من ذلك.

وفي قوله سبحانه في ختام الآية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ تحذير للمسلمين من مخالفة أمره وارتكاب نهيه، فينزل بهم عقابه الذي لا طاقة لهم به.

ومن الآيات الواردة في التضامن أيضًا قوله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١].

وهذه الصفات العظيمة هي جماع الخير، وعنوان السعادة، وسبب صلاح أمر الدنيا والآخرة، ولهذا علق سبحانه وتعالى رحمتهم على هذه الصفات الجليلة فقال: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، فتبين بذلك أن الرحمة والنصر على العدو، وسلامة العاقبة، كل ذلك مرتب على القيام بحق الله وحق عباده، ولا يتم ذلك إلا بالتناصح والتعاون والتضامن، والصدق في طلب الآخرة والرغبة فيما عند الله، والإنصاف من النفس، وتحري سبيل العدل، وفي هذا المعنى يقول الله عز وجل: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

ويقول عز وجل في سورة المائدة: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]، وفي هاتين الآيتين أمر المؤمنين

أن يقوموا لله بالقسط، وأن يشهدوا له بذلك في حق العدو والصديق، والقريب والبعيد، وتحذيرهم من أن يحملهم الهوى أو البغضاء على خلاف العدل، وأوضح سبحانه أن العدل هو أقرب للتقوى، فدل ذلك على أنه لا صلاح للمسلمين فيما بينهم، ولا استقامة، ولا وحدة لكلمتهم، إلا بالعدل وإعطاء كل ذي حق حقه.

ومما ورد في وجوب التضامن الإسلامي قول الله عز وجل:
﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر].

فأوضح سبحانه في هذه السورة القصيرة العظيمة أنه لا سبيل إلى النجاح والربح والعاقبة الحميدة والسلامة من أنواع الخسران إلا بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والصبر عليه.

والواقع من حين بعث الله نبيه محمداً ﷺ إلى يومنا هذا،

شاهد ودليل على ما دلت عليه هذه السورة الكريمة.

ولما أخل المسلمون بهذا الأمر العظيم بعد الصدر الأول حصل بينهم من الشحناء والفرقة والاختلاف ما لا يخفى على أحد، ولا علاج لذلك ولا دواء له إلا بالرجوع إلى دين الله، والاعتصام به، والعمل به، وتحكيمه، والتحاكم إليه في كل ما شجر بينهم، كما قال الله عز وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

ومما ورد من الأحاديث الشريفة في التضامن الإسلامي الذكر هو التعاون على البر والتقوى قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله

ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

وقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٢)

وشبك بين أصابعه.

وقوله ﷺ: «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم

كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى

والسهر»^(٣) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.

فهذه الأحاديث وما جاء في معناها تدل دلالة ظاهرة على

وجوب التضامن بين المسلمين، والتراحم والتعاطف، والتعاون

على كل خير، وفي تشبيهم بالبناء الواحد، والجسد الواحد، ما

يدل على أنهم بتضامنهم وتعاونهم وتراحمهم تجتمع كلمتهم،

وينتظم صفهم، ويسلمون من شر عدوهم، وقد قال تعالى:

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً؛ رقم

(٦٠٢٧)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين

وتعاطفهم، رقم (٢٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، رقم

(٦٠١١)؛ ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين

وتعاطفهم، رقم (٢٥٨٦).

﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وإمام الجميع في هذه الدعوة الخيرة وقدوتهم في هذا السبيل

القيم، هو نبينهم وسيدهم وقائدهم الأعظم، نبينا محمد رسول الله

ﷺ، فهو أول من دعا هذه الأمة إلى توحيد ربها، والاعتصام

بجبله، وجمع كلمتها على الحق، والوقوف صفاً واحداً في وجه

عدوها المشترك، وفي تحقيق مصالحها وقضاياها العادلة؛ عملاً

بقوله تعالى خطاباً له: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقد سار على نهجه القويم صحابته الكرام، وأتباعهم

ياحسان - رضي الله عنهم وأرضاهم - فنجحوا في ذلك غاية

النجاح، وحقَّق الله لهم ما وعدهم به من عزة وكرامة ونصر، كما

سبق التنبيه على ذلك والإشارة إليه في أول الكلمة.

ولا ريب أن الله عز وجل إنما حقق لهم ما تقدمت الإشارة إليه

بإيمانهم الصادق، وجهادهم العظيم، وأعمالهم الصالحة، وصبرهم ومصابرتهم، وصدقهم في القول والعمل، وتضامنهم وتكاتفهم في ذلك، لا بأنسابهم ولا بأموالهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

وكما قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

فمن سار على سبيلهم ونهج نهجهم، أعطاه الله كما أعطاهم، وأيده كما أيدهم، فهو القائل عز وجل في كتابه المبين: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [يونس: ٤٥] يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿[غافر: ٥١، ٥٢].

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، رقم (٢٥٦٤).

وهو القائل سبحانه: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [يونس: ٤٧] ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ [يونس: ٤٧] ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وهو القائل عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

والله عز وجل المسؤول أن يجمع كلمة المسلمين على الهدى، وأن يفقههم في دينه، وأن يصلح ولاية أمرهم، ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم، وأن يمنحهم الصدق في التضامن بينهم، والتناصح والتعاون على الخير، وأن يعيذهم من التفرق والاختلاف، ومضلات الفتن، وأن يحفظهم من مكائد الأعداء، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وجوب التعاون على البر والتقوى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.. أما بعد:

فإني أشكر الله عز وجل على ما منَّ به من هذا اللقاء لإخوة في الله وأبناء كرام للتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والتناصح في الله عز وجل. ثم أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على دعوتها لي للمشاركة بهذه المحاضرة. كما أشكر الأخ الكريم الشيخ محمد بن عبد الرزاق الدرويش على دعوته لي لهذا اللقاء، وأسأله عز وجل أن يبارك في جهود الجميع وأن يجعله لقاءً مباركاً وأن ينفعنا به جميعاً ويجعله عوناً لنا على طاعته والتمسك بدينه والنصح له ولعباده إنه خير مسؤول.

ثم عنوان الكلمة التي أتحدث إليكم بمضمونها هي كلمة

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٧/١٨٨-٢٠٠) وهي محاضرة ألقاها ساحة الشيخ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

التعاون على البر والتقوى، وإنها كلمة جامعة تجمع الخير كله، وأنتم - والحمد لله - ممن يهتمون ويعملون لتحقيق هذا الهدف، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتعاون على البر والتقوى، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان؛ حيث قال سبحانه وتعالى في سورة المائدة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

فجدير بكل مسلم وكل مسلمة في أنحاء الدنيا أن يحفظوا هذا العمل وأن يعنوا به كثيراً؛ لأن ذلك يترتب عليه بتوفيق الله صلاح المجتمع وتعاونه على الخير، وابتعاده عن الشر، وإحساسه بالمسئولية، ووقوفه عند الحد الذي ينبغي أن يقف عنده، وقد جاء في هذا المعنى نصوص كثيرة منها قوله عز وجل: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر].

فهذه السورة العظيمة القصيرة اشتملت على معانٍ عظيمة من جملتها: التواصي بالحق وهو التعاون على البر والتقوى، والرابحون السعداء في كل زمان وفي كل مكان هم الذين حققوا هذه الصفات الأربع التي دلت عليها هذه السورة، وهم الناجون من جميع أنواع الخسران.

فينبغي لكل مسلم أن يحققها وأن يلزمها وأن يدعو إليها؛ وهي الإيمان بالله ورسوله إيماناً صادقاً يتضمن الإخلاص لله في العبادة وتصديق أخباره سبحانه، ويتضمن الشهادة له بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة وتصديق أخباره عليه الصلاة والسلام، كما يتضمن العمل الصالح، فإن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية عند أهل السنة والجماعة؛ فالإيمان الصادق يتضمن قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، وعمل القلب بمحبة الله والإخلاص له وخوفه ورجاءه والشوق إليه ومحبة الخير للمسلمين مثل دعائهم إليه، كما يتضمن العمل الصالح بالجوارح وهو قول وعمل يزيد

بالطاعة وينقص بالمعاصي كما تقدم.

ثم يتضمن أمراً ثالثاً وهو التواصي بالحق، وهو داخل في العمل الصالح وداخل في الإيمان، ولكن نبه الله عليه فأفرده بالذكر بياناً لعظم شأنه، فإن التواصي له شأن عظيم، وهو التعاون على البر والتقوى، والتناصح في الله، وإرشاد العباد إلى ما ينفعهم ونهيهم عما يضرهم، وكذا يدخل في الإيمان أيضاً الأمر الرابع وهو التواصي بالصبر.

فاشتملت هذه السورة العظيمة على جميع أنواع الخير وأصوله وأسباب السعادة، فالتعاون على البر والتقوى معناه التعاون على تحقيق الإيمان قولاً وعملاً وعقيدة، فالبر والتقوى عند اقترانهما يدلان على أداء الفرائض وترك المحارم، فالبر هو أداء الفرائض واكتساب الخير والمسارة إليه وتحقيقه، والتقوى ترك المحارم ونبذ الشر، وعند أفراد أحدهما عن الآخر يشمل الدين كله، فالبر عند الإطلاق هو الدين كله، والتقوى عند الإطلاق هي الدين كله؛ كما قال عز وجل: ﴿وَلَيْكُنَّ الْبِرُّ مَنِّ أَمِّنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ... ﴿ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿...أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آتَقَى﴾ [البقرة: ١٨٩] والتعاون على البر والتقوى هو التعاون على تحقيق ما أمر الله به ورسوله قولاً وعملاً وعقيدة، وعلى ترك ما حرم الله ورسوله قولاً وعملاً وعقيدة، وكل إنسان محتاج إلى هذا التعاون أيما كان ذكراً كان أو أنثى، حيث تحصل له السعادة العاجلة والآجلة بهذا التعاون والنجاة في الدنيا والآخرة والسلامة من جميع أنواع الهلاك والفساد، وعلى حسب صدق العبد في ذلك وإخلاصه يكون حظه من هذا الربح، وعلى حسب تساهله في ذلك يكون نصيبه من الخسران، فالكل بالكل والحصّة بالحصّة.

فمن لم يقيم بهذه الأمور الأربعة علماً وعملاً فاته الخير كله ونزل به الخسران كله، ومن فاته شيء من ذلك ناله من الخسران بقدر ما فاته من تحقيق هذه الأمور الأربعة. ولا ريب أن أهل العلم أولى الناس بتحقيق هذه الأمور وذلك بالتعاون على البر

والتقوى عن إيمان وصدق وإخلاص وصبر ومصابرة؛ لأن العامة قد لا يستطيعون ذلك لعدم فقههم وعلمهم، ولا يستطيعون إلا الشيء اليسير من ذلك على حسب علمهم، ولكن أهل العلم لهم القدرة على ذلك أكثر من غيرهم، وكلما زاد العلم بالله ورسوله وبدينه زاد الواجب وزادت المسؤولية؛ وفي هذا المعنى يقول عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١] الآية.

فكون بعضهم أولياء بعض يقتضي التناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه والحذر من كل ما يخالف هذه الولاية ويضعفها؛ فالمؤمن ولي أخيه وولي أخته في الله، والمؤمنة كذلك ولية أختها في الله وولية أخيها في الله، وهذا واجب على الجميع، وعلى كل منهم أن يدل أخاه على الخير وينصح له ويحذره من كل شر، وبذلك تتحقق الولاية منك لأخيك بالتعاون معه على البر والتقوى والنصيحة له في كل

شيء تعلم أنه من الخير، وتكره له كل شيء تعلم أنه من الشر وتعينه على الخير وعلى ترك الشر، وتفرح بحصوله على الخير ويمزقك أن يقع في الشر لأنه أخوك، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً»^(٢) وشبَّك بين أصابعه [متفق عليه].

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٣) متفق عليه.

فهذه الأحاديث الثلاثة وما جاء في معناها أصول عظيمة في

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم (١٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، رقم (٤٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وجوب محبتك لأخيك كل خير، وكراحتك له كل شر، ونصيحتك له أينما كان، وأنه وليك وأنت وليه، كما قال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

وفي هذا المعنى أيضاً ما رواه مسلم في صحيحه من حديث تميم الداري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدين النصيحة»، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

وفي هذا الحديث العظيم إخبار النبي عليه الصلاة والسلام أن الدين كله النصيحة، والنصح هو الإخلاص في الشيء وعدم الغش والخيانة فيه، فالمسلم لعظم ولايته لأخيه ومحبته لأخيه ينصح له ويوجهه إلى كل ما ينفعه ويراه خالصاً لا شائبة فيه ولا غش فيه. ومن ذلك قول العرب: ذهب ناصح يعني سليماً من الغش، ويقال: (عسل ناصح) أي سليم من الغش والشمع.

(١) سبق تخريجه.

وفي هذا المعنى أيضًا ما رواه الشيخان من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»^(١).

فالواجب على العلماء وطلبة العلم إدراك هذا المعنى والعمل به بصفة أخص من غيرهم؛ لعلمهم وفضلهم وكونهم خلفاء الرسل في بيان الحق والدعوة إليه والنصح لله ولعباده؛ فإنه لا يستوي من يعلم ومن لا يعلم؛ كما قال عز وجل: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وأصح الناس للناس هم الرسل - عليهم الصلاة والسلام - والأنبياء، ثم بعدهم العلماء، فهم ورثة الأنبياء وهم خلفاؤهم في الخير والنصح والدعوة إلى الله والصبر على الأذى والتحمل. ومن الولاية والنصح: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة، رقم (٥٧)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٥٦).

ولهذا قال الله عز وجل في الآية السابقة: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ومن ذلك الدعوة إلى الخير والإرشاد إليه، وتعليم الجاهل، وإرشاد الضال إلى طريق الصواب؛ كما قال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣] فليس هناك أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وقرن ذلك بالعمل الصالح، ويقول عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد بين سبحانه في موضع آخر أنه لا بد من العلم؛ لأن الداعي إلى الله لا بد أن يكون على علم حتى لا يضر نفسه ولا يضر الناس، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَدِيَهُمْ سَبِيلًا أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فالداعي إلى الله والهداية إلى الله عليه يجب أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه وفيما ينهى عنه، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن الداعي إلى الله له مثل أجور من هداه الله على يديه، وهذا

خير عظيم، يقول عليه الصلاة والسلام: «من دل على خير له مثل أجر فاعله»^(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»^(٢) رواه مسلم أيضاً.

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه لما بعثه إلى خيبر: «ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه» ثم قال له: «فوالله لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(٣)

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، رقم (١٨٩٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، رقم (٢٦٧٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، رقم (٣٠٠٩)؛ ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم (٢٤٠٦).

وهذا خير عظيم، والمعنى أن ذلك خير من الدنيا كلها، لكن لما كانت العرب تعظم الإبل الحمر وتراها أفضل أموالها مثل ما عليها الصلاة والسلام.

فأنتم أيها الإخوة والأبناء في حاجة شديدة إلى الإخلاص في هذا الأمر والنشاط فيه والصبر عليه لهذه النصوص التي سمعتم وغيرها، مع الصدق والتحري في الخير، والعناية بالأسلوب الحسن والتواضع واستحضار أن العبد على خطر عظيم، فهو يدعو إلى الله وينشر الخير، وينصح ويعين على البر والتقوى، مع التواضع وعدم التكبر وعدم العجب، ولا يرى نفسه أبداً إلا على خطر، ويحثها على كل خير ويراقبها ويحذر من شرها، ولا يعجب بعمله ولا يمتن به، ولا يتكبر بذلك ولا يفخر على الناس، بل يرى أن المنة لله عليه في ذلك، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

فالتعاون على البر والتقوى والتناصح يقتضي الدعوة إلى الخير والإعانة عليه، فهو أيضاً يقتضي التحذير من الشر وعدم التعاون مع أهل الشر، فلا تعين أخاك على ما يغضب الله عليه، ولا تُعينه على أي معصية، بل تنصح له في تركها وتحذره من شرورها، وهذا من البر والتقوى. وإذا أعتته على المعصية وسهّلت له سبيلها كنت ممن تعاون معه على الإثم والعدوان، سواء كانت المعصية عملية أو قولية؛ كالتهاون بالصلاة أو بالزكاة أو بالصيام أو حج البيت أو بعقوق الوالدين أو أحدهما أو بقطيعة الرحم أو بحلق اللحى أو بإسبال الثياب أو بالكذب والغيبة والنميمة أو السباب واللعن أو بغير هذا من أنواع المعاصي القولية والفعلية، عملاً بقول الله سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّونَ﴾ ويدخل في الإثم جميع المعاصي. أما العدوان فهو التعدي لحدود الله والتعدي على الناس أو التعدي على ما فرض الله بالزيادة أو النقص.

والبدعة من العدوان؛ لأنها زيادة على ما شرع الله، فيسمى

المبتدع متعدياً، والظالم للناس متعدياً، والتارك لما أنزل الله آتياً متعدياً لأمر الله، فاقتراف المعاصي إثم، والتعدي على ما فرض الله والزيادة على ما فرض الله، والظلم لعباد الله عدوان منهى عنه وداخل في الإثم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّونَ﴾، ثم ختم الله الآية بأمره سبحانه وتعالى بالتقوى والتحذير من شدة العقاب، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ والمعنى: احذروا مغبة التعاون على الإثم والعدوان وترك التعاون على البر والتقوى ومن العاقبة في ذلك شدة العقاب لمن خالف أمره وارتكب نهيته وتعدي حدوده.

نسأل الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلا أن يوفقنا وإياكم وسائر المسلمين للتعاون على البر والتقوى والصدق في ذلك، وأن نبداً بأنفسنا؛ لأن الداعي إلى الله قدوة وطالب العلم قدوة، فعليه أن يحاسب نفسه في كل شيء ويجاهدها في عمل كل خير وترك كل شر حتى يكون ذلك أجدى لدعوته وأنفع لنصحه وأكمل في تلقي الناس لنصيحته والانتفاع بدعوته وإرشاده

وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان.

الرابطة الإسلامية هي أعظم الوسائل التي تربط بين المسلمين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.. أما بعد:

فإن الأخوة الدينية بين الشعوب الإسلامية هي أقوى الوسائل والروابط التي تشد الأمة وتؤلف بينها لتكون قوية متماسكة في وجوه أعدائها المتربصين بها من الكفار والمنافقين، وهذه النعمة - نعمة التألف بين قلوب المسلمين - هي التي امتن الله بها على نبيه ﷺ في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ - وَيَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَالْفَتْحَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ

جَمِيعًا مَا آفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ آفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وامتن بها على المسلمين جميعاً رجالاً ونساءً في قوله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[التوبة: ٧١].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿[الحجرات: ١٠].

وفي قول النبي ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يحقره، ولا يكذب به، ولا يخذله، التقوى هاهنا - وأشار إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله

وعرضه^(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه.

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وهذه النعمة العظيمة قد ضاق بها أعداء الإسلام، وعملوا جاهدين لتفكيك أواصر الأمة وزرع أسباب الفرقة والتنازع بينهم لتذهب ريح الأمة وقوتها وليسهل إذلالها وقهرها والسيطرة عليها. وكما يقولون: فرّق تَسُدُّ. ومن أقوى وسائل الأعداء في هذا: وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وما تبثه من الأخبار الكاذبة والمحرّفة التي تزرع الشر والفتن وأسباب الكراهية والحقد والفرقة بين المسلمين.

ومن أهم الواجبات على المسلمين جميعًا ولاسيما العلماء ورجال الإعلام المنصفون: التصدي لهذه الحملات الحاقدة التي تستغل الأحداث لإثارة الشكوك وإزالة الثقة بين المسلمين أفرادًا وجماعات، حكامًا ومحكومين. ومما يلاحظ في هذا العام

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، رقم

بشكل خاص أن كثيرًا من وكالات الأنباء العالمية التي تخدم مخططات أعداء الإسلام وتخضع لمراكز التوجيه النصراني والماسوني تخطط بأسلوب ماهر لإثارة العالم كله ضد ما يسمونه الأصوليين، وهم يقصدون بذلك الدم والقذح في المسلمين المتمسكين بالإسلام على أصوله الصحيحة، الذين يرفضون مسaire الأهواء والتقارب بين الثقافات والأديان الباطلة.

وقد وقع بعض الإعلاميين المسلمين في مصيدة الأعداء، وأخذوا ينقلون تلك الأخبار المعادية للإسلام، وأصبحوا يتداولونها عن جهل بمقاصد أصحابها، أو غرض في نفوس بعضهم، فكانوا يفعلهم هذا أعاونًا للأعداء على الإسلام والمسلمين بدلاً من قيامهم بواجب التصدي لأعداء الإسلام، وإبطال كيدهم ببيان أهمية الرابطة الدينية والأخوة الإسلامية بين الشعوب الإسلامية.

وإن الأخطاء الفردية التي لا يسلم منها أحد لا ينبغي أن

تكون مبررًا للتشنيع على الإسلام والمسلمين والتفريق بينهم.

ولهذا رأيت تحرير هذه الكلمة الموجزة نصيحة للمسلمين جميعًا من الإعلاميين وغيرهم في الدول الإسلامية وغيرها، وتحذيرًا للجميع من مكائد الأعداء من الكافرين والمنافقين والسائرين على نهجهم. وأن يصونوا الإعلام الإسلامي المقروء والمسموع والمرئي من أن يكون وسيلة للتشكيك في الإسلام والدعاة إليه، أو أن يستخدم للتفريق بين علماء الأمة وشعوبها والناصحين لها، وغرس أسباب الشحناء والتباغض بين حكامها ومحكومياتها وعلماؤها وعامتها، وأن يبذلوا كل ما يستطيعون في التقريب بين المسلمين وجمع كلمتهم، ودعوتهم حكامًا ومحكومين للتمسك بدينهم والاستقامة عليه وتحكيم شريعة الله في عبادته والتواصي بذلك، والتعاون عليه بالأساليب الحسنة والنصيحة الخالصة والعمل الصالح الدائب، والسيرة الحميدة عملاً بقول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَالْعَصْرُ ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۗ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر].

وقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله وكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١) رواه مسلم في صحيحه.

ولما روى جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»^(٢) متفق على صحته.

كما أوصي العلماء وجميع الدعاة وأنصار الحق أن يتجنبوا المسيرات والمظاهرات التي تضر الدعوة ولا تنفعها وتسبب الفرقة بين المسلمين والفتنة بين الحكام والمحكومين، وإنما الواجب سلوك السبيل الموصلة إلى الحق واستعمال الوسائل

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

التي تنفع ولا تضر وتجمع ولا تفرق وتنشر الدعوة بين المسلمين، وتبين لهم ما يجب عليهم بالكتابات والأشرطة المفيدة والمحاضرات النافعة، وخطب الجمع الهادفة التي توضح الحق وتدعو إليه، وتبين الباطل وتحذر منه، مع الزيارات المفيدة للحكام والمسؤولين، والمناصحة كتابةً أو مشافهةً بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن، عملاً بقول الله عز وجل في وصف نبيه محمد ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية. وقوله عز وجل لموسى وهارون - عليهما الصلاة والسلام - لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

وقول النبي ﷺ: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا،

وتطاوعوا ولا تخالفوا»^(١).

وقوله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير، رقم (١٧٣٢).

شيء إلا شانه»^(١).

وقوله ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله»^(٢) وكل هذه

الأحاديث صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ.

وفي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي

ﷺ أنه قال: «اللهم من ولي من أممي شيئاً فرفق بهم فارفق به،

اللهم من ولي من أممي شيئاً فشق عليه فاشقق عليه»^(٣)

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

والله المسؤول أن يصلح أحوال المسلمين جميعاً ويجمع

كلمتهم على الحق، وأن يصلح قاداتهم وولاة أمرهم، ويوفقهم

لتحكيم شريعته والرضا بها وإيثارها على ما سواها، وأن ينصر

بهم دينه ويعلي بهم كلمته، وأن يعينهم على كل ما فيه صلاح

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (٢٥٣٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (٢٥٩٢).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم (١٨٢٨).

أمور دينهم ودنياهم، وعلى كل ما فيه سعادتهم وسعادة شعوبهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وأن يوفق علماء المسلمين ودعاة الإسلام لأداء ما يجب عليهم على الوجه الذي يرضيه، وأن يبارك في جهودهم وينصر بهم الحق ويعينهم على كل ما فيه صلاح العباد والبلاد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وجوب تحقيق تقوى الله عز وجل

في امتثال أمره واجتناب نهيه^(١)

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى إخوانه في الله حجاج بيت الله الحرام، وإلى كل من يطلع على هذه الرسالة من المسلمين في كل مكان.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أما بعد:

فيسرني أن ألتقي بكم على صفحات هذه المجلة "التوعية

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١٦/ ٢٩١-٣٠١).

الإسلامية" في عامها التاسع، والتي تصدرها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية في موسم الحج من كل عام؛ لإرشاد حجاج بيت الله وضيوف الرحمن لأداء مناسك الحج والعمرة على ما تقتضيه أحكام الشريعة الغراء، وتبصيرهم بأمور دينهم الحنيف وأصول عقيدتهم التي كان عليها سلفنا الصالح - رضي الله عنهم أجمعين -، والتنبيه على كثير من البدع التي تفتشت بين المسلمين، وتناول بعض القضايا المعاصرة بالدراسة التي تظهر وجه الحق فيها؛ حتى يكون المسلم على بينة من أمره بمقدار ما يتاح لهذه المجلة من وقت وإمكانيات، والله ولي التوفيق.

وبهذه المناسبة الكريمة فإني أرحب بإخواني حجاج بيت الله في حرم الله، وأذكر نفسي وأذكرهم ببعض الوصايا والنصائح الواجبة في مثل هذا المقام، حتى يكون عملنا مقبولاً، وسعينا مشكوراً، وحجنا مبروراً، وذنبتنا مغفوراً بتوفيق من الله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

أوصيكم ونفسي بتقوى الله على كل حال، فإنها جماع كل خير ووصية الله تعالى للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وتحقق تقوى الله عز وجل في امثال أمره واجتناب نهيه عن إخلاص ومجبة له سبحانه رغبة في ثوابه، وحذرًا من عقابه، على الوجه الذي شرعه الله لعباده وبينه الرسول ﷺ لأمته، كما قال الله تعالى له: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

واعلموا - رحماني الله وإياكم - أن الإخلاص لله في العبادة واتباع الرسول ﷺ فيها، أصلان أساسيان في صحتها وقبولها، واستحقاق الثواب عليها - لاسيما في الحج - فلنحرص على ذلك أشد الحرص، فقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن الإخلاص لله في العبادة، أن لا نشرك معه غيره، أو

نصرف شيئًا منها لسواه، وأن نظهرها من الرياء وحب السمعة، فالله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، وهو الذي يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ويقول لنبية الكريم ﷺ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [آل الله الدِّينِ الْخَالِصُ] [الزمر: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الذين هُمْ يَرَاءُونَ] وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ [الماعون: ٤-٧].

وقال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من سَمِعَ سَمِعَ الله به، ومن يرائي يرائي الله به»^(١) متفق عليه، يعني من أظهر عمله للناس رياءً أظهر الله سريره للناس يوم القيامة وفضحه

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، رقم (٦٤٩٩)، ومسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٦).

على رؤوس الخلائق. أعاذنا الله وإياكم من خزي يوم الدين.
ومن العبادة: الدعاء - بل هو أظهر مظاهر العبودية والتضرع
لله - فينبغي أن يكون لله وحده، فلا يُدعى غيره ولا يستعان
بأحد سواه، ولا يُلجأ إلا إليه، ولا يُستغاث إلا به، وفي الذكر
الحكيم: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].
وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ
لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥٥﴾
وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾
[الأحقاف: ٥-٦].

وقد جاء في وصية رسول الله ﷺ لابن عباس - رضي الله
عنهما -: «... وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله،
واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا
بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم
يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت

الصحف»^(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.
وينبغي أن نتحرى في كل أعمالنا سنة رسولنا ﷺ، فهو ﷺ
المتبوع والمقتدى به، ونتجنب البدع في ديننا، فالخير في الاتباع
والشر في الابتداع، فقد قال ﷺ لأصحابه ﷺ: «وإنه من يعش
منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بستتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات
الأمر فإن كل بدعة ضلالة»^(٢) رواه أبو داود والترمذي، وقال:
حديث حسن صحيح. وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما
ليس منه فهو رد»^(٣) متفق عليه.

(١) أخرجه أحمد (٢٧٥٨)؛ والترمذي: كتاب صفة القيامة، باب منه، رقم
(٢٥١٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٦٩٢)؛ وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم
(٤٦٠٧)، وابن ماجه: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين،
رقم (٤٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحو على صلح جور، رقم
(٢٦٩٧)، ومسلم: كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم
(١٧١٨).

وأوصيكم ونفسي بتحري الحلال في المطعم والملبس والمشرب والنفقة والصدقة، فإن ذلك يعين على الطاعة ويكون سبباً في قبولها، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام فأتى يستجاب لذلك؟!»^(١) رواه الإمام أحمد. ورواه مسلم في صحيحه والترمذي من حديث فضيل بن مرزوق. فاختاروا لحجكم وعمرتكم نفقة طيبة تعينكم على إجابة الدعاء وقبول الأعمال.

(١) سبق تخريجه.

وأوصيكم ونفسي بالمحافظة على الصلاة وأدائها جماعة ما استطعتم، فإنها عماد الدين، وفرق ما بين المسلم والكافر، وآخر ما يرفع من الدين، وأول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة، فمن ضيّعها فهو لما سواها من الفرائض والواجبات أضيع، والله تعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الَّتِيْمِيْنَ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُوْنَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّيْنَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمُسْكِيْنَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَاطِئِيْنَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتْنَا الْيَقِيْنَ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِيْنَ﴾ [المدثر: ٣٨-٤٨].

والمحافظة كذلك على سائر الفرائض والواجبات من إيتاء الزكاة وصوم رمضان والإحسان إلى الوالدين وصلة الأرحام وإكرام الأيتام وحسن الجوار وغير ذلك من الواجبات التي يقوم عليها أمر الإسلام، فمن ضيّعها أو تهاون بها أو قصر في

أدائها فهو على خطر عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وأوصيكم ونفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الحكمة والموعظة الحسنة؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولقول الرسول ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(١) رواه مسلم.

فابدلوا النصح لإخوانكم في رفق ولين، فما من أمة ضاع فيها هذا الواجب إلا عمَّها الله بعذاب، فقد قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يُستجاب

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم (٤٩).

لكم»^(١) رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٢) متفق عليه.

وأوصيكم ونفسي بأن نغتنم فرصة وجودنا في حرم الله تعالى بالإكثار من ذكره وشكره وحسن عبادته والتقرب إليه سبحانه بثتى الطاعات والقربات، فإننا في بلد تضاعف فيه الحسنات وقد فرغنا أنفسنا لذلك، فلا نضيع أوقاتنا في اللغو واللهو والقييل والقال؛ فإنها تكون حسرات علينا يوم القيامة، ولتتجنب الجدال والخصام مع الرفقة والأصحاب، ولا تؤذ إخواننا الحجاج بالمزاحمة عند المناسك وخاصة عند الطواف واستلام الحجر الأسود ورمي الجمرات، فالله تعالى نهانا عن مجرد الجدال وهو دون هذا الأذى بكثير، فقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا

(١) أخرجه أحمد (٢٢٨٠١)؛ والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم (٢١٦٩).

(٢) سبق تحريجه.

جِدَالَ نِي الْحَجِّ ﴿ [البقرة: ١٩٧].

وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»^(١) متفق عليه.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أوصي حكام المسلمين بأن يتقوا الله ويحكموا بشريعة الله ويقيموا حدوده، فإنهم مسؤولون عن ذلك بين يديه حين يكون الملك له وحده بما ولاهم من أمر عباده، ومن السبعة الذين يظلمهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، ولا يكون عادلاً إلا إذا حكم بما أنزل الله، والله تعالى قال لنبيه الكريم ﷺ: ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

كما أوصيهم بأن يجتمعوا على كلمة سواء، وأن لا يختلفوا فتزول هيبتهم ويطمع فيهم عدوهم كما هو واقع الحال، والله تعالى يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم (١٥٢١)؛ ومسلم: كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، رقم (١٣٥٠).

وأوصي العلماء - وهم أعلام الهدى - أن يجتمعوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن يجمعوا المسلمين على ذلك، وأن يخلصوا النصح لولاية الأمور، ويؤثروا ما عند الله على ما عندهم فما عند الله خير وأبقى، وبلغوا رسالة الله ولا يخشوا أحداً سواه. فإذا نصح العلماء واستجاب الأمراء استقامت الأمة على طاعة الله فأعزها الله ومكَّن لها في الأرض، وجعلها - بحق - خير أمة أخرجت للناس.

وأوصي الأغنياء بأن يبذلوا من أموالهم ويعاونوا إخوانهم الفقراء، ويمدوا المجاهدين في كل مكان بما يعينهم على قتال عدوهم، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [الزمل: ٢٠].

ويقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وإن فاتكم شرف الجهاد بالنفس فلا يفوتكم شرف الجهاد

بالمال، فقد قال ﷺ: «من جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا»^(١) متفق عليه.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمع كلمة المسلمين على الحق ويؤلف بين قلوبهم على الهدى، ويوحد صفوفهم، وينصرهم على عدوهم، كما أسأله أن يصلح ولاية المسلمين ويوجب إليهم الإيمان ويزينه في قلوبهم، ويهيئ لهم البطانة الصالحة التي تذكرهم بالحق وتعينهم عليه، إنه الموفق لذلك والقادر عليه، وأن يجعل حجنا مبروراً وسعينا مشكوراً وذنوبنا مغفوراً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً، رقم (٢٨٤٣)؛ ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، رقم (١٨٩٥).

أخلاق المؤمنين والمؤمنات^(١)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله وصفوته من خلقه وأمينه على وحيه نبينا وإمامنا وسيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي العربي المكي ثم المدني، وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، والهدى: هو الخبر الصادق والعلم النافع، ودين الحق: هو الشرائع والأحكام التي جاء بها عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

والله سبحانه وتعالى أرسله إلى الجن والإنس والعرب والعجم والذكور والإناث، أرسله جل وعلا رحمةً للعالمين

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/٣٩-٥٧) وأصلها محاضرة لساحة الشيخ.

جميعاً وإماماً للمؤمنين، أرسله عليه الصلاة والسلام يعلم الناس دينهم، ويفقههم في دينهم، ويوضح لهم أسباب النجاة، ويحذرهم من أسباب الهلاك، بعثه بدين الإسلام ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، بعثه بالهدى ودين الحق بالأخبار الصادقة والعلوم النافعة والشرائع المستقيمة والأحكام العادلة، بعثه يدعو إلى كل خير وينهى عن كل شر، بعثه يدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينهى عن سفاسف الأخلاق وسيئ الأعمال، قال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].
وقال قبلها: ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَأَتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].
هذه حال هذا الدين العظيم، وحال هذا النبي الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، بعثه الله رحمةً للعالمين، الجن والإنس، والذكور والإناث، والعرب والعجم، حتى الدواب رحمة الله ببعثته؛ لأنه أوصى بها خيرًا وأوصى برحمتها والإحسان إليها.

وبين الله سبحانه وتعالى أنه خلق الجن والإنس ليعبدوه فقال عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والمعنى: إلا ليخلصوا لي العبادة ويفردوني بها ويطيعوا أمري ويتنوها عن نهيي، هذه هي العبادة، طاعة أوامره سبحانه وترك نواهيه عن إخلاص له سبحانه وعن إيمان به وبرسوله، وعن رغبة ورهبة، وعن تصديق لأخباره وأخبار رسوله عليه الصلاة والسلام، وعن وقوف عند حدوده.

وقد أمرهم بذلك فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، وهذا يعم الذكور والإناث، والجن والإنس والعرب والعجم.

وقال عز وجل: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وعلمهم في سورة فاتحة الكتاب وهي: (الحمد) أن يسألوا الله الهداية لصراطه المستقيم، وهو دينه الذي جاء به نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، وهو الإسلام والإيمان والهدى والتقوى والصلاح، فقال جل وعلا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٣﴾ [الفاتحة: ٢-٥] وهذا كله ثناء على الله سبحانه وتعالى وتوجيه للعباد إلى أن يعترفوا بأنه المعبود بالحق، وأنه المستعان في جميع الأمور سبحانه وتعالى.

ثم علمهم أن يقولوا بعد ذلك: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] لما حمدوه وأثنوا عليه واعترفوا بأنهم عبيده وأنه المستعان وحده، علمهم أن يقولوا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٢﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] والصراط المستقيم هو دينه، وهو الإسلام والإيمان والعلم النافع والعمل الصالح، وهو طريق المنعم عليهم من أهل العلم والعمل، وهم أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان ومن سبقهم من الرسل وأتباعهم.

هذا هو الصراط المستقيم، صراط من أنعم الله عليهم، وهم الذين عرفوا الحق وعملوا به، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿
 [النساء: ٦٩] هذا الصراط المستقيم صراط هؤلاء، وهم الرسل
 عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، ويخصنا منهم نبينا محمد عليه
 الصلاة والسلام وأصحابه الكرام، فإننا مأمورون باتباعه ﷺ
 والسير على منهاجه والسير على ما سلكه أصحابه رضي الله
 عنهم وأرضاهم من العلم والعمل، كما قال جل وعلا:
 ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
 اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
 تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿
 [التوبة: ١٠٠].

فهذا الصراط، هو دين الله، وهو ما بعث الله به نبيه ﷺ من
 العلم والعمل، من العلم النافع والعمل الصالح، وهو الهدى
 ودين الحق الذي بعث الله به نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام
 وهو ما بينه في كتابه جل وعلا، هذا الصراط العظيم هو فعل
 الأوامر وترك النواهي التي بينها سبحانه في كتابه العظيم وعلى

لسان رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام، فالواجب على أهل
 الإسلام أن يتدبروا كتاب الله ويتعلوه، وهو القرآن، ويتعلموا
 سنة رسوله عليه الصلاة والسلام ويستقيموا عليهما، ففي كتاب
 الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام والسلم بيان الأوامر والنواهي
 التي جاء بها نبينا محمد ﷺ، وفيها بيان الأخلاق التي مدحها
 سبحانه وأثنى عليها من أخلاق المؤمنين وأخلاق المؤمنات
 وصفاتهم وأعمالهم، ومن تدبر كتاب الله وتعلوه وجد ذلك،
 ومن تدبر السنة - وهي سيرة الرسول ﷺ وأحاديثه، من تدبرها -
 وجد ذلك وعرف ذلك.

ومن ذلك ما أوضحه الله سبحانه في آخر سورة الفرقان
 حيث قال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
 الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ
 يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٩﴾ إِنَّهَا
 سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ

يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٧٠﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٣-٦٨﴾ أي من يشرك بالله أو يقتل نفسًا بغير حق أو يزني يلقي أثامًا، أي عذابًا عظيمًا، فسره سبحانه بقوله: ﴿يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩] أي في العذاب: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٠-٧١﴾ [الفرقان: ٧٠-٧١] كل هذا من أخلاق أهل الإيمان من الرجال والنساء.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] أي لا يحضرونه، والزور هو الباطل والمنكر من سائر المعاصي والكفر، لا يشهدونه بل ينكرونه ويحاربونه ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] أعرضوا عنه كما في الآية الأخرى:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [القصص: ٥٥] الآية. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣] بل يخرون عن خشوع وعن إقبال على الله وعن تعظيم الله، هكذا المؤمن والمؤمنة، إذا ذكروا بآيات الله خشعوا لذلك ولانت قلوبهم وعظموا ربهم وبكوا من خشيته، يرجون ثوابه ويخشون عقابه سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

كل هذا من صفات المؤمنين والمؤمنات، وهم عباد الرحمن على الحقيقة والكمال، وقرة العين أن ترى ولدك من ذكر وأنثى متخلقًا بصالح الأعمال، والولد إذا أطلق يشمل الذكر والأنثى، والذكر يقال له ابن والأنثى يقال لها بنت، وهكذا كلمة الذرية تشمل الذكر والأنثى، ومنه الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح

يدعو له^(١) فالولد يشمل الذكر والأنثى كما تقدم، فقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ يعني ذرية تقر بهم العين لكونهم مطيعين لله مستقيمين على شريعته.

وهكذا الأزواج، الزوج إذا رأى زوجته على طاعة الله قرت بها عينه، وهكذا الزوجة إذا رأت زوجها على طاعة الله وهي مؤمنة قرت بذلك عينها، فالزوج الصالح قرّة عين لزوجته والزوجة الصالحة قرّة عين لزوجها المؤمن، والذرية الطيبة قرّة عين لأبائهم وأمهاتهم وأقاربهم المؤمنين والمؤمنات ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ يعني أئمة في الخير هداة للخلق.

ثم أوضح سبحانه جزاءهم فقال: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ [الفرقان: ٧٥] وهي الجنة، سميت غرفة لارتفاعها؛ لأنها في أعلى

(١) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١).

مكان فوق السماوات تحت العرش، فالجنة في أعلى مكان، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ يعني الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي بسبب صبرهم على طاعة الله، وصبرهم عن محارم الله، وصبرهم على المصائب.

فلما صبروا جازاهم الله بالجنة العالية العظيمة، لما صبروا على أداء حق الله وصبروا عن محارم الله، وصبروا على المصائب المؤلمة من مرض وفقر وغير ذلك، جزاهم الله بأحسن الجزاء ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا﴾ أي في الجنة ﴿نَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

هذه من صفات أهل الإيمان الكامل من الذكور والإناث أهل السعادة والنجاة، وفي القرآن آيات كثيرات بين الله فيها سبحانه صفات المؤمنين والمؤمنات وأخلاقهم، ومن ذلك ما في سورة البقرة حيث يقول سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ
فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾.

هذه حالة الأتقياء من الذكور والإناث، هذه صفاتهم بينها سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة من سورة البقرة بقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ...﴾ الآية. والمعنى: ولكن ذو البر أي صاحب البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين، آمن بالله رباً وإهاً سبحانه وتعالى، وآمن بأنه معبوده الحق، وأنه خالقه ورازقه وأنه سبحانه موصوف بالأسماء الحسنى والصفات العلى، لا شبيه له ولا كفؤ له ولا ند له، بل هو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، لا يعتره نقص بوجه من الوجوه، بل له الكمال المطلق من كل الوجوه كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [سورة الإخلاص].

وآمن باليوم الآخر، أي بالبعث بعد الموت، هذه الدنيا تزول ويأتي اليوم الآخر، وهو يوم القيامة، لا بد من هذا اليوم، سوف يأتي وسوف يبعث الله عباده كما قال جل وعلا: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِيثُونَ ﴿١٥٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٥٦، ١٥٧] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٧] فالיום الآخر هو: يوم الحساب والجزاء والجنة والنار والميزان والصراط، وإعطاء الصحف باليمين والشمال ونصب الميزان ووزن الأعمال.

ثم بعد ذلك كله ينتهي الناس إلى الجنة أو النار، فالمؤمنون إلى الجنة والسعادة والكرامة، والكافرون إلى النار والعذاب المهين - نسأل الله العافية -.

وهكذا الإيمان بالملائكة الذين هم في طاعة ربهم وجند من جنوده وسفراء بينه وبين عباده في تبليغ أوامره ونواهيه سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦] خلقهم الله من نور، ينفذون أوامره كما قال جل

وعلا: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨] عليهم الصلاة والسلام، ويقول فيهم جل وعلا: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾.

وهكذا الإيمان بالكتاب، والمراد به الكتب المنزلة من السماء، وأعظمها القرآن الكريم، فأهل الإيمان يؤمنون بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء الماضين، وآخرها وأعظمها وأشرفها القرآن العظيم، المنزل على محمد ﷺ.

وهكذا المؤمنون يؤمنون بالنبين والمرسلين جميعاً، ويصدقونهم وآخرهم محمد ﷺ، وهو خاتمهم وأفضلهم.

وهكذا المؤمنون يتصدقون بالمال على حبه، وهو معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَءَاتَىٰ الْوَالِدَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ ﴾ ينفقون المال على حبه، في الفقراء والمساكين من الأقارب

وغيرهم، وفي المشاريع الخيرية، وفي جهاد أعداء الله، هكذا أهل الإيمان والبر، ينفقون أموالهم في سبيل الخيرات، وفي آية أخرى يقول عز وجل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ويقول سبحانه: ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ٧].

وفي هذه الآية - آية البقرة - يقول سبحانه: ﴿ وَءَاتَىٰ الْوَالِدَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] المعنى أنهم ينفقون في هذه الجهات، في القرابات وفي الأيتام الفقراء، وفي المساكين غير الأقارب من الضعفاء، وفي أبناء السبيل وهم الذين يمرّون بالبلد وليسوا من أهلها وتنقطع بهم النفقة، وهكذا السائلون وهم الذين يسألون الناس لحاجتهم ومسكنتهم، أو سائلون مجهولون لا تُعرف حالهم، فيعطون ما يسد حالهم.

وقوله: ﴿ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ المعنى: ينفقون في عتق الرقاب، أي في

عتق العبيد والإماء وفي عتق الأسارى وفك أسرهم.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ﴾ والمعنى: أن المؤمنين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة يحافظون على الصلوات، ويطعمونها في أوقاتها، كما شرعها الله، ويؤدون الزكاة كما شرعها الله لهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ﴾ أي إذا أعطوا عهداً وفوا ولم يغدروا.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ أي في حالة البأساء، وهي: حالة الفقر، ﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾ وهي: الأمراض والأوجاع والجراحات ونحو ذلك، ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾: حين القتال والحرب.

ثم قال سبحانه: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ هؤلاء هم أهل الصدق، لكونهم حققوا إيمانهم بأعمالهم الطيبة، وتقواهم لله عز وجل.

وذكر في سورة الأنفال صفات أخرى، وفي سورة براءة،

وفي سورة المؤمنون قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

وفي مواضع أخرى ذكر صفات المؤمنين وأخلاقهم، ومن نظر في القرآن الكريم وتعلقه وجد ذلك، ولهذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]. ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]. ويقول عز وجل: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾ [فصلت: ٤٤]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٩].

فنصيحتي لإخواني وأخواتي في الله وعموم الناس، نصيحتي لهم جميعاً ولنفسي: العناية بالقرآن وتدبر معانيه وحفظه عن ظهر قلب، والحرص على تلاوته باستمرار من المصحف تارة وعن ظهر قلب تارة أخرى، إن كان القارئ ممن يحفظه بالتدبر والتعقل وطلب الفائدة، كما قال سبحانه: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]. وتطبيق

ذلك بالعمل والفهم والفقہ.

فالله سبحانه قد أنزل هذا الكتاب للعمل والعلم والفقہ، قال عز وجل: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥] فهو منزل للعمل والاتباع، لا لمجرد القراءة والحفظ؛ لأن الحفظ والقراءة وسيلة، والمقصود هو العلم بالكتاب والسنة مع الإيمان بالله ورسوله وتنفيذ أوامر الله وترك نواهيه، ويجمع ذلك قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١] فهذه الآية من أجمع الآيات في بيان صفات المؤمنين والمؤمنات وأخلاقهم العظيمة، وما يجب عليهم.

فقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ يدل على أن المؤمنين والمؤمنات أولياء يتناصحون ويتحابون في الله، ويتواصون بالحق والصبر عليه ويتعاونون

على البر والتقوى، هكذا المؤمنون والمؤمنات جميعاً، المؤمن ولي أخيه وولي أخته في الله، والمؤمنة ولية أخيها في الله وأختها في الله، كل واحد منهما يجب الخير للآخر، ويدعوه إليه ويفرح باستقامته عليه، ويدفع عنه الشر، لا يغتابه ولا يتكلم في عرضه ولا عليه، ولا يشهد عليه بالزور ولا يسبه، ولا يدعي عليه دعوى باطلة، هكذا المؤمنون والمؤمنات.

فإذا رأيت من نفسك إيذاءً لأخيك أو أختك في الله بالغيبة أو بالسب أو بالنميمة أو بالكذب أو غير هذا، فاعرف أن إيمانك ناقص، وأنت ضعيف الإيمان، لو كان إيمانك مستقيماً كاملاً لما فعلت ما فعلت من ظلم أخيك، والتعدي عليه بالغيبة والنميمة، أو الدعوى الباطلة أو الشهادة بالزور أو اليمين الكاذبة أو السباب ونحو ذلك، فالإيمان بالله ورسوله والتقوى لله والبر والهدى، كل ذلك يمنع صاحبه عن التعدي على أخيه في الله وأخته في الله، لا بالغيبة ولا بالشتيم ولا بالكذب ولا بالدعوى الباطلة ولا بشهادة الزور ولا غير ذلك من أنواع

الظلم، فإيماه يحجزه عن ذلك ويمنعه من كل أذى.

ثم قال سبحانه بعد ذلك: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ هذا واجب عظيم فيه صلاح الأمة، وبه نصر الدين، وبه القضاء على أسباب الهلاك والمعاصي والشور، فالمؤمنون والمؤمنات يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، المؤمن لا يسكت إذا رأى من أخيه منكرًا، ينهاه عنه، وهكذا إن رأى من أخته أو عمته أو خالته أو غيرها، إذا رأى منهن منكرًا نهانًا عن ذلك، وإذا رأى من أخيه في الله أو أخته في الله تقصيرًا في الواجب أنكر عليه ذلك، وأمره بالمعروف، كل ذلك بالرفق والحكمة والأسلوب الحسن.

فالمؤمن إذا رأى أخًا له في الله يتكاسل عن الصلوات، أو يتعاطى الغيبة أو النميمة، أو شرب الدخان أو المسكر، أو يعصي والديه أو أحدهما، أو يقطع أرحامه أنكر عليه بالكلام الطيب والأسلوب الحسن، لا بالألقاب المكروهة والأسلوب الشديد، وبين له أن هذا الأمر لا يجوز له، وهكذا إذا رأى من أخته في الله

منكرًا أنكر عليها ذلك، كأن يراها تعصي والديها، أو تسيء إلى زوجها أو تقصر في تربية أولادها، أو تتساهل بالصلاة أنكر عليها، سواء كان زوجها أو أباه أو أخاها أو ابن أختها أو ابن أخيها، أو ليس قريبًا لها بل من الناس الذين عرفوا ذلك منها. وهي كذلك إذا رأت من زوجها تقصيرًا نهته عن ذلك، كأن رآته يشرب الخمر، أو رآته يدخن، أو رآته يتساهل بالصلاة، أو يصلي في البيت دون المسجد، تنكر عليه بالأسلوب الحسن وبالكلام الطيب، كأن تقول له: يا عبد الله، اتق الله وراقب الله، هذا لا يجوز لك، حافظ على الصلاة في الجماعة، دع عنك ما حرم الله عليك من المسكرات أو التدخين، أو حلق اللحية، أو إطالة الشوارب، أو إسبال الملابس.

كل هذه المنكرات يجب على كل واحد من المؤمنين والمؤمنات والصلحاء إنكارها، وعلى الزوج والزوجة وعلى الأخ والقريب وعلى الجار وعلى الجليس وعلى غيرهم القيام بذلك؛ كما قال الله تعالى في وصف المؤمنين والمؤمنات: ﴿يَأْمُرُونَ

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿١﴾، وقال المصطفى عليه الصلاة والسلام: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»^(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(٢) وهذا عام لجميع المنكرات سواء كانت في الطريق، أو في البيت أو في المسجد أو في الطائرة أو في القطار أو في السيارة أو في أي مكان، وهو يعمُّ الرجال والنساء جميعاً، المرأة تتكلم والرجل يتكلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن في هذا صلاح الجميع ونجاة الجميع، ولا يجوز السكوت عن ذلك من أجل خاطر الزوج أو خاطر الأخ أو خاطر فلان وفلان، لكن يكون بالأسلوب الحسن والكلمات الطيبة، لا بالعنف والشدة،

(١) أخرجه أحمد (١)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم (٤٠٠٥).

(٢) سبق تخريجه.

ومع ملاحظة الأوقات المناسبة، فقد يكون بعض الناس في وقت لا يقبل التوجيه ولكنه في وقت آخر يكون متهيئاً للقبول، فالمؤمن والمؤمنة يلاحظان للإنكار والأمر بالمعروف الأوقات المناسبة ولا ييأس إذا لم يقبل منه اليوم أن يقبل منه غداً، فالمؤمن لا ييأس، والمؤمنة لا تيأس، بل يستمران في إنكار المنكر، وفي الأمر بالمعروف وفي النصيحة لله ولعباده مع حسن الظن بالله والرغبة فيما عند الله عز وجل.

ثم قال الله سبحانه: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ هكذا المؤمنون والمؤمنات يقيمون الصلاة ويحافظون عليها في أوقاتها، ويطيرون الرجال في المساجد، ويحافظون عليها مع إخوانهم في الجماعة، ويسارعون إليها إذا سمعوا المنادي يقول: «حي على الصلاة، حي على الفلاح» ويبادرون إليها في جميع الأوقات.

والواجب على كل مؤمن أن يراقب الله في ذلك ويحذر مما ابتلي به كثير من الناس - والعياذ بالله - من أدائها في البيت، والتخلف عن صلاة الجماعة حتى شابهوا أهل النفاق في ذلك،

فيصلي في البيت وقد عافاه الله، وربما أَّخر الفجر إلى ما بعد طلوع الشمس إلى أن يقوم للعمل فيصلي، وربما تركها بالكلية، وهذا هو البلاء العظيم والمنكر الخطير، فالصلاة عمود الإسلام، من حفظها فقد حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيَّع، من تركها كفر لقول النبي ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»^(١) وهذا يعم الرجال والنساء، ويقول عليه الصلاة والسلام: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة»^(٢) فلا يجوز للمؤمن التساهل بهذا الأمر ولا للمؤمنة، ولا يجوز للرجل فعلها في البيت، بل يجب الخروج إلى المساجد، يقول النبي ﷺ: «من سمع النداء فلم يأتها فلا صلاة له

(١) أخرجه أحمد (٢٢٤٢٨)؛ والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، رقم (٢٦٢١)، والنسائي: كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، رقم (٤٦٣)؛ وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة وسنتها باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، رقم (١٠٧٩).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، رقم (٨٢).

إلا من عذر»^(١).

وجاءه رجل، فقال: يا رسول الله، أنا رجل أعمى ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد، فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ قال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم، قال: «فأجب»^(٢). فلم يرخص له النبي ﷺ وهو أعمى ليس له قائد يلائمه، فكيف بحال الصحيح البصير.

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم»^(٣) وهذا يدل على عظم الأمر. فالواجب العناية بالصلاة

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة، رقم (٧٩٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، رقم (٦٥٣).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الخصومات، باب إخراج أهل المعاصي والخصوم من البيوت، رقم (٢٤٢٠)؛ ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف، رقم (٦٥١).

والمسارعة إليها في المساجد، والحذر من التكاثر منها والتثاقل، فإن الكسل عنها والتثاقل من صفات أهل النفاق - نعوذ بالله من حالهم - كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢].

فالواجب على كل مسلم ومسلمة العناية بالصلاة التي هي عمود الإسلام، وهي أعظم أركانه بعد الشهادتين، فمن حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها ضيع دينه - ولا حول ولا قوة إلا بالله - ومن المحافظة عليها ومن إقامتها الخشوع فيها وعدم مسابقة الإمام، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١-٢] ويقول ﷺ: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته» قيل: يا رسول الله كيف يسرق صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها»^(١) ولما رأى النبي ﷺ رجلاً قد أساء في صلاته، فلم يتم ركوعها ولا سجودها

(١) أخرجه أحمد (١١١٣٨).

أمره أن يعيد الصلاة، وقال له: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع ذلك في صلاتك كلها»^(١).

وكثير من الناس ينقرها نقرًا، ولا شك أن ذلك منكر عظيم؛ لأن من نقرها بطلت صلاته للحديث المذكور، فلا بد من الطمأنينة في الركوع والسجود والاعتدال بعد الركوع وبين السجدين، مع الحذر من مسابقة الإمام، فإذا كنت مع الإمام فلا تسابقه، إذا كبر فلا تكبر حتى يكبر وينقطع صوته، وإذا قال: «الله أكبر» راکعاً، فلا تركع حتى يستوي راکعاً وحتى ينقطع صوته، ثم تركع، وهكذا في السجود لا تسابق الإمام ولا تكن مع الإمام، لا معه ولا تسابقه، لا هذا ولا هذا، يقول ﷺ:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب من رد فقال: عليك السلام، رقم (٦٢٥١)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٧).

«إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود، ولا بالقيام ولا بالانصراف»^(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا كبر فكبروا، ولا تكبروا حتى يكبر، وإذا ركع فاركعوا، ولا تركعوا حتى يركع، إذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا ولا تسجدوا حتى يسجد»^(٢) وهذا الأمر واضح بين - لكل من وفقه الله - ولكن بعض الناس لا يصبر، بل يسارع ويسابق الإمام - و العياذ بالله - فالواجب الحذر من ذلك.

ومما يعين على المحافظة على صلاة الفجر في وقتها وعلى أدائها في الجماعة: التبكير بالنوم وعدم السهر، وقد كان النبي ﷺ يكره النوم قبل صلاة العشاء والحديث بعدها.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود، رقم (٤٢٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، رقم (٦٨٩)؛ ومسلم: كتاب الصلاة، باب اتيام المأموم بالإمام، رقم (٤١١).

فالمشروع لكل مؤمن ومؤمنة بذل المستطاع في المحافظة على أداء الصلاة في وقتها وعدم السهر بعد العشاء؛ لأن ذلك قد يسبب النوم عن صلاة الفجر، وينبغي أن يستعان بالساعة المنبهة على ذلك؛ كما ينبغي التعاون على ذلك بين الرجل وأهله في هذا الأمر، لقول الله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢٢].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ [١] إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكْفُورٌ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

فلا بد من التناصح والتواصي بالحق والتعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قبل حلول العقوبة، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»^(١).

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «الدين النصيحة،

(١) سبق تخريجه.

الدين النصيحة، الدين النصيحة» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

وقال جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: «بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»^(٢) والمشروع للمسلم إذا سمع الفائدة أن يبلغها غيره، وهكذا المسلمة تبلغ غيرها ما سمعت من العلوم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية»^(٣) وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب الناس يقول: «ليبلغ الشاهد الغائب فربّ مبلغ أوعى من سامع»^(٤).

ويقول صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(٥)، ويدخل في هذا الحديث العظيم كل من جاء

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٤٦١).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم (١٧٤١).

(٥) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم (٢٦٩٩).

إلى مسجد أو أي مكان فيه حلقة علم أو موعظة يطلب العلم ويستفيد. ويقول عليه الصلاة والسلام: «من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام: «نظر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٢) ويقول صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»^(٣) وهذا يدل على شرعية المسابقة إلى حلقات العلم،

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، رقم (٧١)؛ ومسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٢٩٦)؛ وأبو داود: كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم (٣٦٦٠)؛ والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، رقم (٢٦٥٨)؛ وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب من بلغ علماً، رقم (٢٣٠).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم (٢٦٩٩).

والعناية بها والحرص على الاجتماع على تلاوة القرآن ومدارسته. ومن ذلك سماع البرامج الدينية والأحاديث المفيدة التي تزداد من إذاعة القرآن الكريم، ويتولاها المعروفون بالعلم والبصيرة، وحسن العقيدة، ثم من المعلوم أن الله سبحانه خلق الثقلين لعبادته، والعبادة لا بد فيها من العلم، والإنسان لا يعرف العبادة التي كلف بها إلا بالتعليم والتفقه في الدين، والله يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فما هي العبادة التي لا بد أن تتعلمها، ولا بد أن تتفقه فيها؟ هي كل ما شرعه الله وأحبه لعباده من صلاة وزكاة وصوم وغير ذلك.

ثم قال سبحانه وتعالى بعد الصلاة: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، فالزكاة حق المال، يجب على المسلم أن يؤدي زكاة أمواله إلى أهلها، مخلصاً لله، راجياً ثوابه، خائفاً من عقابه - سبحانه وتعالى - وقد بين الله أهلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ...﴾ [التوبة: ٦٠] الآية من سورة التوبة.

ثم قال بعدها: ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بعدما ذكر الصلاة

والزكاة والموالاتة بين المؤمنين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعني في كل شيء، كما يطيعونه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الصلاة والزكاة، يطيعونه في كل شيء، هكذا المؤمن والمؤمنة، يطيعون الله ورسوله في كل الأوامر والنواهي أينما كانوا، ولا يتم الدين إلا بذلك.

ثم قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ فأوضح سبحانه بذلك أن الذين استقاموا على دين الله وأدوا حقه وأطاعوه، وأطاعوا رسوله عليه الصلاة والسلام، هم المستحقون للرحمة في الدنيا والآخرة لطاعتهم له، وإيمانهم به، وأدائهم حقه، فدل ذلك على أن المعرض الغافل المقصر قد عرض نفسه لعذاب الله وغضبه، فالرحمة تحصل بالعمل الصالح والجد في طاعة الله والقيام بأمره، ومن أعرض عن ذلك وتابع الهوى والشيطان فله النار يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿١٧٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٧٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١٧٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى

النَّفْسَ عَنِ أَهْوَى ﴿٤١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿[النازعات: ٣٧-٤١].

فنسأل الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن یوفقنا وسائر المسلمین للعلم النافع والعمل الصالح، وأن یصلح قلوبنا وأعمالنا جميعاً، وأن یرزقنا التواصي بالحق والتواصي بالصبر، والتعاون علی البر والتقوی وإیثار الآخرة علی الدنيا، والحرص علی سلامة القلوب وسلامة الأعمال، والحرص علی نفع المسلمین أينما كانوا، كما أسأله سبحانه أن ینصر دینه ویعلی کلمته وأن یوفق جمیع ولاة أمر المسلمین عموماً، وأن یصلح قلوبهم وأعمالهم، وأن یمنحهم الفقه فی دینه وأن یشرح صدورهم لتحکیم شریعته والحکم بها، والاستقامة علیها، وأن یعیننا وإیاهم وسائر المسلمین فی کل مکان من مضلات الفتن، وطوارق المحن، وأن ینخذل أعداء الإسلام أينما كانوا، وأن یجعل الدائرة علیهم، وأن ینصر إخواننا المجاهدين فی سبیل الله فی کل مکان، إنه ولی ذلك والقادر علیه.

وصلی الله وسلم علی نبینا محمد وآله وصحبه.

نصيحة عامة^(١)

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من إخواننا المسلمين، سلك الله بي وبهم سبيل أهل الإيثار وأعاذني وإياهم من مضلات الفتن ونزغات الشيطان أمين.

سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته.. أما بعد:

فالموجب لهذا هو النصيحة والتذكير عملاً بقوله تعالى:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات].

وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَىٰ

الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وقول النبي ﷺ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين

النصيحة»، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله ولكتابه ولرسوله

ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢).

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٣/ ٢٥٣ - ٢٥٩) وهي نصيحة قرئت

على الناس في المساجد عام ١٣٦٨ هـ.

(٢) سبق تخرجه.

إذا علمتم هذا فالذي أوصيكم به ونفسي: تقوى الله سبحانه وخشيته في السر والعلانية، والتقوى هي وصية الله ووصية رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وقال النبي ﷺ في خطبته: «أوصيكم بتقوى الله»^(١)، وقد أمر الله عباده بالتقوى ووعدهم عليها مغفرة الذنوب وتفريج الكروب، وتيسير الأمور والرزق الطيب من حيث لا يحتسبون، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [٥٦] وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٨﴾ [الحشر: ١٨، ١٩].

وقال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٩٤)؛ وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)؛ والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦).

سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].
وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١٠١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، والآيات في الأمر بالتقوى والحث عليها وبيان ما أعد الله للمتقين من الخير العظيم في الدنيا والآخرة كثيرة معلومة، والتقوى كلمة جامعة للخير كله، وحقيقتها فعل ما أوجب الله على عباده من الطاعات، واجتناب ما حرم عليهم من المعاصي والتواصي بذلك والتعاون عليه، فمن فعل ما أوجب الله عليه من الطاعة واجتنب ما حرم عليه من المعصية ابتغاء مرضاة الله وحذرًا من عقابه فقد اتقى الله حق تقواه، وأفلح كل الفلاح.

فالواجب علينا وعليكم يا إخواني تقوى الله سبحانه بفعل أوامره واجتناب نواهيه والتواصي بذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الطاقة، وقد رأيتم وسمعتم ما حصل بسبب الإخلال بالتقوى من قسوة القلوب وكثرة الغفلة عما أوجب الله على عباده، وغلاء الأسعار، وجذب كثير من البلاد، وتأخر نزول الغيث عنها، وليس لذلك دواء إلا الرجوع إلى الله ولزوم تقواه، والتوبة إليه من سالف الذنوب والتواصي بذلك، فمتى رجع العباد إلى الله سبحانه وأنابوا إليه واتفقوا بفعل أمره وترك نهيهم وتابوا إليه من ذنوبهم واستغاثوه وتضرعوا إليه بقلوب خاشعة وألسنة صادقة وخوف ورجاء أعطاهم ما يحبون وصرف عنهم ما يكرهون، وأصلح قلوبهم وأعمالهم كما وعدهم الله بذلك في الآيات المذكورة والأحاديث المعلومة عن النبي ﷺ.

ويدخل في التقوى أمور أعظمها وأكبرها إخلاص العبادات القولية والفعلية لله، فلا يعبد العبد إلا ربه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يستغيث إلا به، ولا يخاف إلا منه، ولا يرجو إلا إياه؛ لأن

نواصي العباد وأزمة الأمور كلها بيده سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]،

وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ومتى صرف العبد شيئاً من العبادة لغير الله

فقد أشرك بالله، والشرك يحبط العمل ويوجب الخلود في النار،

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[الأنعام: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ

وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومن أعظم التقوى: المحافظة على الصلوات الخمس وأداء

الرجال لها في الجماعة وإقامتها في المساجد كما شرع الله ذلك على

لسان نبيه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ
 الْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقد وعد الله المحافظين
 عليها بالفردوس الأعلى والكرامة في الجنات، كما قال تعالى:
 ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴾ إلى
 قوله: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ
 الْوَارِثُونَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
 [المؤمنون: ١-١١]، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
 ﴿٥﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٤، ٣٥]، وصحَّ عن
 النبي ﷺ أنه قال: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك
 الصلاة»^(١)، وقال ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم: الصلاة فمن
 تركها فقد كفر»^(٢).

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

وقد علم من الدين أن الصلاة لا يحافظ عليها إلا مؤمن،
 ولا يتخلف عنها إلا منافق، وقد ذمَّ الله أهل النفاق وتوعدهم
 بالدرك الأسفل من النار، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
 يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ ﴿١﴾
 [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ
 النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [النساء: ١٤٥]، وقد هم النبي ﷺ
 بتحريق بيوت الذين يتخلفون عن الصلاة في المساجد، وفي
 المسند عنه ﷺ أنه قال: «لو لا ما في البيوت من النساء والذرية
 لحرقتها عليهم»^(١).

وفي صحيح مسلم: «أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال: يا
 رسول الله: إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فهل لي من
 رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال ﷺ: «هل تسمع النداء
 بالصلاة؟» قال: نعم، قال: «فأجب»، وفي لفظ: «لا أجد لك

(١) أخرجه أحمد (٨٥٧٨).

رخصة»^(١)، وقال ﷺ: «من سمع الأذان فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر»^(٢).

فاتقوا الله عباد الله وعظمووا الصلاة وأحكموها وحافظوا عليها في المساجد، وتواصوا بذلك، وأنكروا على من تخلف عنها لتسلموا جميعاً من غضب الله وعقابه، وتفوزوا برحمته وكرامته في الدنيا والآخرة.

ومن أعظم التقوى أيضاً أداء الزكاة التي افترضها الله على عباده الأغنياء في أموالهم، وجعلها طهرة لهم وإحساناً ومواساة لإخوانهم الفقراء، وتوعد من بخل بها بالعذاب الأليم، قال الله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ [النور: ٣٤]، وقد أخبر النبي ﷺ أن من لم يؤد زكاة ماله عُذب به يوم القيامة^(١)، فاتقوا الله عباد الله وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم رجاء ثواب الله سبحانه وحذراً من عقابه، وشكراً له على نعمه ورحمة لإخوانكم الفقراء، وأبشروا بالخلف والأجر الجزيل، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبا: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وأكثرُوا من صلاة النافلة وصدقة التطوع؟ لأنَّ النوافل تكمل بها الفرائض وتضاعف بها الأجور، والصلاة والصدقة من أعظم الأسباب في دفع العقوبات وتكفير السيئات

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (١٤٠٣)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم (٩٨٧).

ومضاعفة الحسنات.

ومن أعظم التقوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا قوام للدين وأهله ولا صلاح لهم في معاشهم ومعادهم إلا بالقيام بذلك والتواصي به والصبر على ما فيه من المشقة، قال الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

وفي هذه الآية الدلالة الصريحة على أن العبد لا يكون من المؤمنين على الحقيقة الموعودين بالرحمة والفوز بالجنة إلا إذا اتصف بهذه الخصال المذكورة التي من أهمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومتى ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر وتساكتوا استحقوا المقت من الله واللعنة وحلول العقوبات، كما قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [٧٨]، ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وفي سنن أبي داود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قرأ: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [٧٨]، ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [٧٩]، ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ

أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿ إلى قوله: ﴿...فَسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١]، ثم قال: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً أو لتقصرنه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم»^(١).

وصح عنه ﷺ أنه قال: «إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه»^(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٣).

فاتقوا الله عباد الله، وخذوا على أيدي سفهائكم، وتأمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر لتسلموا جميعاً من غضب الله

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٣٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وحلول نعمته، ومن أهم ذلك محاسبة كل عبد نفسه وإلزامها بتقوى الله، وقيامه على من تحت يده من زوجة وأهل وخادم وإلزامهم بها أو جب الله عليهم، وزجرهم عما حرم الله عليهم عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه: ١٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحریم: ٦]، وقول النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»^(١).

ومن المنكرات التي يجب على العباد إنكارها والحذر منها: الزنا، واللواط، والسرقه، والظلم، والغيبه، والنميمة، واللعن، والسباب، والكبر، وإسبال الثياب، وحلق اللحي وأخذ شيء منها، وإطالة الشوارب، وعقوق الوالدين، وقطيعه الرحم، وأكل الربا، وأكل أموال اليتامى، وشرب المسكرات،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم

(٨٩٣)؛ ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم

(١٨٢٩).

والانشغال بآلات اللهو كالسينما والرباب، واستماع أصوات المغنيات والمزامير من الراديو وغيره، والتهاجر والتقاطع، والشحناء لأجل الدنيا وحطامها، والغش وشهادة الزور، واليمين الفاجرة، والكذب وكثرة الحلف في المعاملات إلى غير ذلك من المنكرات التي نهى الله ورسوله عنها.

فالواجب علينا وعليكم يا إخواني اجتناب هذه المنكرات وأشباهها، والحذر منها، والتحذير منها، والتوبة إلى الله مما سلف منها، لتفوزوا بجزيل الثواب، وتسلموا من غضب الرب وحلول العقاب، والله المسؤول أن يوفقني وإياكم لما يرضيه من القول والعمل، وأن يثبتنا جميعاً على دينه، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، وأن يوفق الله ولاة أمورنا لما يرضيه، وأن يصلح بطانتهم، وأن ينصر بهم الدين ويقمع بهم المفسدين، إنه سميع الدعاء قريب الإجابة.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

شكر النعمة حقيقته وعلاماته^(١)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فمن المعلوم أن الله جل وعلا أسبغ علينا نعمًا كثيرة، ولم يزل يسبغ على عباده النعم الكثيرة، وهو المستحق لأن يشكر على جميع النعم، والشكر قيد النعم، إذا شكرت النعم اتسعت وبارك الله فيها وعظم الانتفاع بها، ومتى كفرت النعم زالت وربما نزلت العقوبات العاجلة قبل الآجلة.

فالنعم أنواع متنوعة: نعمة الصحة في البدن والسمع والبصر والعقل، وجميع الأعضاء، وأعظم من ذلك وأكبر: نعمة الدين والثبات عليها والعناية بها والتفقه فيها، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٥/١٦٦-١٧٧) وهي محاضرة ألقاها ساحة الشيخ بالجامع الكبير بالرياض.

دينًا ﴿ [المائدة: ٣]، فأعظم النعم نعمة الدين، وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب حتى أبان لعباده دينه العظيم ووضحه لهم، ثم وفقك أيها المسلم وهداك حتى كنت من أهله.

فهذه النعمة العظيمة التي يجب أن نشكر الله عليها غاية الشكر، وإنما يعرف قدرها وعظمتها من نظر في حال العالم وما نزل بهم من أنواع الكفر والشرك والضلال، وما ظهر بين العالم من أنواع الفساد والانحراف وإيثار العاجلة والزهد في الآجلة، وما انتشر أيضًا من أضرار الشيوعية والعلمانية وأفكار الدعاة لها، ومعلوم ما تشتمل عليه هذه الأفكار من الكفر بالله وبجميع الأديان والرسالات والكتب المنزلة من السماء، وهكذا ما ابتلي به الكثير من الناس من عبادة أصحاب القبور والأوثان والأصنام، وصرف خالص حق الله إلى غيره. وكذلك ما ابتلي به الكثير من البدع والخرافات وأنواع الضلال والمعاصي.

وإنما تعرف النعم وعظم شأنها وما لأهلها من الخير عندما

يعرف ضدها في هذه الشرور الكثيرة وما لأهلها من العواقب الوخيمة، فنعمة الإسلام عاقبتها الجنة والكرامة والوصول إلى دار النعيم بجوار الرب الكريم في دار لا يفنى نعيمها، ولا يبلى شباب أهلها، ولا تزول صحتهم ولا أمنهم، بل هم في صحة دائمة وأمن دائم وشباب لا يبلى، وخير لا ينفد وجوار للرب الكريم؛ كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتَهُمْ بِحُورٍ عَيْنٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ [الدخان: ٥١-٥٧] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وأما أهل الكفر والضلال فمصيرهم إلى دار الهون.. إلى عذاب شديد وإلى جحيم وزقوم في دار دائمة لا ينتهي عذابها

ولا يموت أهلها، كما قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦] فمن فكر في هذا الأمر وعرف نعمة الله عليه فإن الواجب عليه أن يشكر هذه النعمة بالثبات عليها، وسؤال الله سبحانه أن يوفقه للاستمرار عليها حتى الموت والحفاظ عليها بطاعة الله وترك معصيته والتعود بالله من أسباب الضلال والفتن ومن أسباب زوال النعم.

وعليه أيضًا شكر النعم الأخرى غير نعمة الإسلام مما يحصل للعبد من الصحة والعافية وغير ذلك من نعم الله عز وجل الكثيرة، كالأمن في الوطن والأهل والمال، وقد يكون سوقها إليك أيها العبد من أسباب إسلامك وإيمانك بالله، وقد يكون ذلك ابتلاءً وامتحانًا مع كفرك وضلالك. قد تمتحن بوجودك في محل آمن وصحة وعافية ومال كثير، وأنت مع ذلك منحرف عن الله وعن طاعته فهذا يكون من الابتلاء والامتحان

وإقامة الحجة عليك ليزيد في عذابك يوم القيامة إذا مت على هذه الحالة السيئة.

فالشكر حقيقته أن تقابل نعم الله بالإيمان به وبرسله ومحبه عز وجل والاعتراف بإنعامه وشكره على ذلك، بالقول الصالح والثناء الحسن والمحبة للمنعم، وخوفه ورجائه والشوق إليه والدعوة إلى سبيله والقيام بحقه.

ومن الإيمان بالله ورسله الإيمان بأفضلهم وإمامهم نبينا محمد ﷺ والتمسك بشريعته.

فَمِنْ شُكْرِ اللَّهِ أَنْ تُوْمِنَ بِاللَّهِ إِلَهًا وَمَعْبُودًا حَقًّا، وَأَنَّهُ الْخَلَّاقُ وَالرَّازِقُ الْعَلِيمُ، وَأَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِأَنْ يَعْبُدَ وَحْدَهُ، وَتُوْمِنَ بِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، وَتُوْمِنَ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ كَامِلٌ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا يِقَاسُ بِخَلْقِ جَلِّ عَلا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال

تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ [سورة الإخلاص].
وَمَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝

ومن الإيمان بالله سبحانه أن تؤمن بأنه هو المستحق للعبادة كما تقدم، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] إلخ. وقال سبحانه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٤١]، وقال عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] إلخ. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] إلخ، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] إلخ.

فإنه هو المستحق لأن يعبد وحده بدعائنا ورجائنا وخوفنا وصلاتنا ونذورنا وذبحنا وغير ذلك من أنواع العبادة. وبهذا تعلم أن ما يفعله الجهلة حول القبور من الدعاء والخوف

والرجاء والذبح والنذر لأهلها؛ أن هذا هو الشرك الأكبر وأنه يناقضه قول لا إله إلا الله. وتعرف أيضًا أن من أنكر اليوم الآخر والبعث والنشور والجنة والنار فهو من أكفر خلق الله ولم يؤمن بالله سبحانه وتعالى بل كافر بالله ودينه... إلخ.

والشيوعيون الملحدون قد توافرت فيهم أنواع الكفر والضلال كما توافرت فيمن عبد غير الله وأشرك معه غيره، من عبادة القبور والأوثان وعبادة الأنبياء والصالحين، وعبادة الأصنام والكواكب والشمس والقمر ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢] إلخ.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢١] آدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا

وْخُفِيَةً إِنَّهُ لَا تُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٤﴾ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤-٥٦].

ومن صرف العبادة لغير الله كمن صرفها للجن أو الملائكة
أو للبدوي أو للحسين أو غيرهم من الخلق فقد أشرك بالله غيره
وعبد مع الله سواه، ونقض بذلك قوله «لا إله إلا الله»، وكفر
بنعم الله التي أنعم بها عليه بالصحة والعافية وبالرسل
وبرسولنا محمد ﷺ، وهذا أعظم كفر للنعمة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]
إلخ.

وهذه العقيدة الصحيحة هي التي جاءت بها الرسل عليهم
الصلاة والسلام، وجاء بها أكملهم وإمامهم وأفضلهم ونصيينا
منهم محمد ﷺ، جاء يدعو إلى توحيد الله والإخلاص له.
وأرسل رسله إلى القبائل تدعوهم إلى توحيد الله عز وجل وإلى

البلدان كذلك، كما بعث علياً ومعاذاً وأبا موسى الأشعري ﷺ
إلى اليمن، وأقام في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى توحيد الله
عز وجل، وأقام في المدينة عشر سنين يدعو إلى توحيد الله واتباع
شريعته، وإنما بدأ بالدعوة إلى التوحيد؛ لأنه هو الأساس، فهو
أساس الإيمان والدين وأساس الشكر لله المنعم، وبه بدأ الرسل
كلهم كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا
أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ١٥] الآية.

فمن فاته توحيد الله والإخلاص له عز وجل فإن جميع
أعمالهم كلها باطلة لا تنفعهم بشيء، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا
لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى:
﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ
عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

والشكر لله سبحانه على نعمة التوحيد وغيرها من النعم من
أعظم الواجبات وأفضل القربات، وهو يكون بقلبك محبة لله

وتعظيماً له ومحبة فيه وموالاته فيه، شوقاً إلى لقائه وجناته، فهو سبحانه العالي فوق خلقه والمستوي على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته، وليس المعنى استولى كما تقول المبتدعة من الجهمية وغيرهم، بل هو بمعنى: ارتفع فوق عرشه كما قال السلف رحمهم الله بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه سبحانه وتعالى، يعلم كل شيء وليس يخفى عليه شيء سبحانه وتعالى. ومما اشتهر في ذلك قول مالك رحمه الله لما سُئل عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأجاب رحمه الله بقوله: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» وبقوله قال أهل السنة والجماعة رحمهم الله.

والمراد بقوله: «السؤال عنه بدعة» يعني الكيف؛ لأنه لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، أما الاستواء فمعلوم، وهو العلو والارتفاع، وروى هذا المعنى عن أم سلمة - رضي الله عنها -

وعن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن شيخ مالك رحمه الله عليها. ومن الشكر بالقلب لله أيضاً محبة المؤمنين والمرسلين وتصديقهم فيما جاءوا به ولا سيما نبينا محمد ﷺ، وأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ومن الشكر بالقلب أيضاً أن تعتقد جازماً أن العبادة حق لله وحده ولا يستحقها أحد سواه.

ومن الشكر لله بالقلب الخوف من الله ورجاؤه ومحبه حباً يملك على أداء حقه وترك معصيته، وأن تدعو إلى سبيله وتستقيم على ذلك.

ومن ذلك الإخلاص له والإكثار من التسييح والتحميد والتكبير.

ومن الشكر أيضاً الثناء باللسان وتكرار النطق بنعم الله والتحدث بها والثناء على الله، والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، فإن الشكر يكون باللسان والقلب والعمل. وهكذا شكر ما شرع الله من الأقوال يكون باللسان.

وهناك نوع ثالث وهو الشكر بالعمل، بعمل الجوارح والقلب ومن عمل الجوارح: أداء الفرائض والمحافظة عليها كالصلاة والصيام والزكاة وحج بيت الله الحرام والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال؛ كما قال تعالى: ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ... ﴾ [التوبة: ٤١] الآية.

ومن الشكر بالقلب: الإخلاص لله ومحبته والخوف منه ورجاؤه كما تقدم.

والشكر لله سبب للمزيد من النعم كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧] ومعنى تأذن: يعني أعلم عباده بذلك وأخبرهم أنهم إن شكروا زادهم وإن كفروا فعذابه شديد ومن عذابه: أن يسلبهم النعمة، ويعاجلهم بالعقوبة، فيجعل بعد الصحة المرض، وبعد الخصب

الجدب، وبعد الأمن الخوف، وبعد الإسلام الكفر بالله عز وجل، وبعد الطاعة المعصية.

فمن شكر الله عز وجل أن تستقيم على أمره وتحافظ على شكره حتى يزيدك من نعمه، فإذا أبيت إلا كفران نعمه ومعصية أمره فإنك تتعرض بذلك لعذابه وغضبه، وعذابه أنواع؛ بعضه في الدنيا وبعضه في الآخرة.

ومن عذابه في الدنيا: سلب النعم كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف: ٥] وتسليط الأعداء. وعذاب الآخرة أشد وأعظم؛ كما قال سبحانه: ﴿ فَأَذْكُرُوا أَنفُسَهُمْ فِي الآخِرَةِ أَنَّهُمْ كَفَرُوا ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال تعالى: ﴿ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سبأ: ١٣] فأخبر سبحانه أن الشاكرين قليلون وأكثر الناس لا يشكرون. فأكثر الناس يتمتع بنعم الله ويتقلب فيها ولكنهم لا يشكرونها بل هم ساهون لاهون غافلون كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ

وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى هُمْ ﴿ [محمد: ١٢] فلا يتم الشكر إلا باللسان واليد والقلب جميعاً، وبهذا المعنى يقول

الشاعر:

أفادتكم النعماء منى ثلاثة

يدي ولساني والضمير المحجبا

والمؤمن من شأنه أن يكون صبوراً شكوراً كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥] فالمؤمن

صبور على المصائب، شكور على النعم، صبور مع أخذه بالأسباب وتعاطيه للأسباب، فإن الصبر لا يمنع الأسباب، فلا يجزع من المرض ولكن لا مانع من الدواء.

فلا يجزع من قلة غلة المزرعة أو ما يصيبها، ولكن يعالج المزرعة بما يزيل من أمراضها، فالصبر لازم وواجب، ولكن لا يمنع العلاج والأخذ بالأسباب. فالمؤمن يصبر على ما أصابه ويعلم أنه بقدر الله وله فيه الحكمة البالغة، ويعلم أن الذنوب

شرها عظيم وعواقبها وخيمة، فيبادر بالتوبة من الذنوب والمعاصي.

فعليك أيها المسلم أن تتوب إلى الله عز وجل حتى يصلح لك ما كان فاسداً ويرد عليك ما كان غائباً. وقد صح في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن العبد ليُحرم الرزق بالذنب بصيبه»^(١) فقد يفعل الإنسان ذنباً يحرم به من نعم كثيرة. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٢٧].

وقال جل وعلا: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال سبحانه: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

(١) أخرجه أحمد (٢١٨٨١)؛ وابن ماجه: كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم

[الروم: ٤١] فالمصائب فيها دعوة للرجوع إلى الله وتنبية للناس لعلهم يرجعون إليه.

فالعلاج الحقيقي للذنوب يكون بالتوبة إلى الله وترك المعاصي والصدق في ذلك، ومن جملة ذلك العلاج: ما شرع الله من العلاج الحسي فإنه من طاعة الله، كما قال النبي ﷺ: «عباد الله تداووا ولا تتداووا بحرام»^(١) فالمؤمن صبور عند البلايا في نفسه وأهله وولده، شكور عند النعم بالقيام بحقه والتوبة إليه، كما قال النبي ﷺ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له»^(٢) رواه مسلم في الصحيح من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه.

ومن الشكر لله عز وجل لزوم السنة والحذر من البدع. فإن كثيراً

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة، رقم (٣٨٧٤).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم (٢٩٩٩).

من الناس قد يتلى بالبدعة تقليداً وتأسياً بغيره، وأسبابها الجهل، والبدعة نوع من كفران النعم وعدم الشكر لله سبحانه وتعالى.

ومن ذلك ما يفعله كثير من الناس في كثير من البلدان من الاحتفال بمولد النبي ﷺ في ربيع الأول، ويعتقدون أن ذلك مستحب جهلاً منهم وتقليداً لغيرهم، وذلك غلط لا أساس له في الشرع المطهر، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وقد يقع في هذا الاحتفال أشياء منكرة، من شرب الخمر، واختلاط النساء بالرجال، بل قد يقع فيه قصائد بها شرك أكبر مثل ما قد وقع في البردة للبوصيري وذلك في قوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به

سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي

فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

وكما وقع في قصيدة البرعي اليميني وما فيها من الشرك الأكبر في دعاء النبي ﷺ.

فالاحتفالات بالموالد سواء كان مولد النبي ﷺ أو الموالد الأخرى كمولد البدوي أو ابن علوان أو الحسين أو علي - رضي الله عنهما - كلها بدعة منكرة أحدثها الناس، ولم تكن في عهد النبي ﷺ ولا في عهد أصحابه ولا في القرون المفضلة.

وأول من أحدثها هم الشيعة الباطنية وهم بنو عبيد القداح المعروفون بالفاطميين الذين ملكوا مصر والمغرب في المائة الرابعة والخامسة، وأحدثوا احتفالات كثيرة بالموالد، كمولد النبي ﷺ والحسين وغيرهما، ثم تابعهم غيرهم بعد ذلك، وهذا فيه تشبه بالنصارى واليهود في أعيادهم، وفيه إحياء لاجتماعات فيها كثير من المعاصي والشرك بالله، حتى ولو فعلها كثير من الناس، ذلك لأن الحق لا يعرف بالناس وإنما يعرف الحق بالأدلة الشرعية في الكتاب والسنة.

وقد نبه كثير من العلماء على ذلك منهم شيخ الإسلام ابن تيمية والشاطبي وآخرون رحمة الله عليهم، ومن استحسناها من بعض المنتسبين للعلم فقد غلط غلطاً بيناً لا تجوز متابعتة عليه؛ فإن تعظيم الرسول ﷺ وإظهار فضله وشأنه لا يكون بالبدع، بل باتباع شرعه وتعظيم أمره ونهيه، والدعوة إلى سنته وتعليمها الناس في المساجد والمدارس والجامعات، لا بإقامة احتفالات مبتدعة باسم المولد؛ لما تقدم من الأدلة الشرعية، ولما يقع فيها من الغلو والشرور الكثيرة، وربما صار فيها الاختلاط وشرب الخمر، بل قد يقع فيها ما هو أكثر من ذلك من الشرك الأكبر كما سبق التنبيه على ذلك.

وقد وقع في الناس أيضاً تقليد لهؤلاء، فقد احتفل الناس بعيد ميلاد أولادهم أو عيد الزواج، فهذا أيضاً من المنكرات وتقليد للكفرة. فليس لنا إلا عيدان عيد الفطر وعيد النحر وأيام التشريق وعرفة والجمعة. فمن اخترع عيداً جديداً فقد تشبه

بالنصارى واليهود. قال ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»^(١) وقال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»^(٣) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالواجب على أهل الإسلام أن يسلكوا طريق النبي ﷺ وأصحابه ﷺ وأتباعهم من السلف الصالح وأن يتركوا البدع المحدثه بعدهم. وهذا كله من شكر الله قولاً وعملاً وعقيدة.

وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً للعلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا العمل بالسنة والاستقامة عليها، وأن يوفقنا لشكر نعمه قولاً وعملاً وعقيدة مع الثبات على الحق، كما نسأله

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٦٩٥)؛ وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)؛ والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة، رقم (٢٦٧٦)؛ وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل، رقم (٤٦).

سبحانه أن يصلح جميع ولاية أمور المسلمين، وأن يوفقهم لكل خير، وأن يرزقهم البطانة الصالحة، وأن يعينهم على إقامة أمر الله في أرض الله، وعلى إقامة حدود الله على عباد الله، وأن يولي على جميع أمور المسلمين خيارهم، وأن يعيذهم من مضلات الفتن إنه سميع قريب..

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

الأقليات الإسلامية ظروفها وأمالها^(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فإن الله جلت قدرته قد بعث الأنبياء والمرسلين للدعوة إلى توحيده، وإخلاص العبادة له سبحانه، وإيضاح شرعه الذي شرع لعباده، وخلق الثقلين لذلك، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال عز

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢) / ٣٧٠-٣٧٩.

وجل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصِّغُورَ﴾ [النحل: ١].

وأخبر سبحانه وبحمده أنه لا يعذب قوماً إلا بعد إرسال البشير والنذير، قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].
وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ونبينا محمد ﷺ الذي بعثه الله على فترة من الرسل، جاء بعد أن ملئت الأرض جوراً وظلماً، وبعد أن تغلبت معصية الله في أرضه على طاعته، فأرسله الله للعالمين الإنس والجن، وللعجم والعرب بشيراً ونذيراً ومبلغاً لشرع الله، فوضح الحق ودعا إليه، وأرسل الرسل وبعث الكتب للرؤساء والعظماء بالدعوة لما جاء به، لتقوم الحججة على من عاند وخالف، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقد جعل الله شريعته خاتمة الشرائع، ورسالته خاتمة الرسالات؛ لأن فيها الكمال والشمول لما يصلح الناس في معاشهم ومعادهم، ولم يترك ﷺ خيراً إلا دعا الناس إليه، أو شراً إلا حذرهم منه، كما قال النبي ﷺ: «تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»^(١).

وقال ﷺ: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم»^(٢) أخرجهم مسلم في صحيحه.

(١) أخرجهم أحمد (١٦٦٩٢)؛ وابن ماجه: في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٤).

(٢) أخرجهم مسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، رقم (١٨٤٤).

وقال ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا أبداً ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي»^(١).

ففي كتاب الله الأمر بالدعوة إلى دين الله، دين الحق الذي لا يقبل سبحانه من البشر سواه، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ [النحل: ١٢٥] الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفي سنة رسول الله ﷺ الحث على الدعوة، والتوضيح لما يجب أن يؤديه المسلم نحو دين الله، وذلك بتوضيحه لسائر البشر، فهو أمانة ملقاة على عواتق أهل العلم ولا تبرأ ذمهم

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (١/١٧٢)؛ والدارقطني في السنن (٤/٢٥٤).

بذلك نحو إخوانهم المسلمين وغيرهم إلا بالتوضيح والنصح، قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه»^(١) رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٢) متفق عليه.

وقال ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»^(٣) أخرجه مسلم في صحيحه.

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام لما بعثه إلى اليهود في خيبر ليدعوهم إلى الإسلام ويبين لهم حق الله عليهم: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(٤).

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

فالمسلمون في أي مكان وزمان واجب عليهم التناصح فيما بينهم، والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه، ودعوة غيرهم إلى الإسلام، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر].

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١) [متفق عليه].

فالواجب على المسلم الامتثال لأوامره وطاعة رسوله ﷺ، والنصح لله ولعباده؛ لأن في ذلك السعادة كلها في الدنيا والآخرة، والعزة للمسلمين لا تكون إلا بذلك، حيث يعلي

(١) سبق تخريجه.

سبحانه كلمتهم وينصرهم على أعدائهم مهما كثروا وتعاونوا، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَلْبُونَ﴾ [الصفات: ١٧٣]، وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

ولقد سمعنا وقرأنا الأخبار عن كثير من إخواننا المسلمين في المجتمعات التي أكثر أهلها من غير المسلمين، وما يحصل عليهم من التسلط والتضييق في إقامة شعائر دينهم لإبعادهم عنه، إما بالإكراه أو بطرق أخرى، فنسأل الله لهم ولجميع المسلمين الثبات على الإسلام، والعافية من مكاييد الأعداء.

ولا شك أنهم على ثغرة مهمة من ثغور الإسلام، ويحتاجون والحالة هذه إلى كل مساعدة وعون سواء من الناحية السياسية، وهذا خاص بالحكومات الإسلامية من العرب وغيرهم التي لديها غيرة على الإسلام، ولها علاقات مع تلك الدول، بإرسال المندوبين وبعث الرسائل والتأكيد على ممثلاتها، وما إلى ذلك من الوسائل والأساليب التي تعين إخوانهم في تلك الأقليات،

وترفع معنوياتهم، وتشعر من يتسلط عليهم بأن لهم إخوة في العقيدة يهتمون بأمرهم، ويتابعون أخبارهم ويغارون لهم.

وسوف يرتفع الضيم والظلم عن المسلمين - إن شاء الله - عندما تشعر تلك الدول وغيرها أن وراء هذه القلة المسلمة دولاً تتألم لآلامهم، وتهتم بشؤونهم، فتتصاع لمطالبهم وترفع يدها عن ظلمهم، ولا سيما أن غالب تلك الدول بحاجة إلى البلاد الإسلامية في الشؤون الاقتصادية وغيرها.

والقلة المسلمة في كل مكان لا شك أنهم في أمس الحاجة إلى المساعدة المادية والمعنوية لإقامة المساجد وبناء المدارس، ونحو ذلك مما يعينهم في عملهم الإسلامي، وواجب على كل مسلم أن يعينهم بقدر طاقته، مع إرسال الدعوة لهم، لتعليمهم العقيدة الصحيحة، واللغة العربية؛ لأن الكثير منهم في جهل كبير بأمور دينهم.

وبهذه المناسبة نحب أن نشير إلى أن للرئاسة العامة لإدارات

البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بحمد الله جهوداً في مختلف البلاد الإسلامية والبلاد التي فيها أقليات، وتشاركها في ذلك رابطة العالم الإسلامي، وبعض الدول والمؤسسات الإسلامية.

أسأل الله أن ينفع بهذه الجهود، وأن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يوفق القائمين على ذلك لما يحب ويرضى.

فقد قامت الرئاسة بمواصلة نشر رسالة الإسلام في ربوع أفريقيا وأوروبا، وأمريكا وآسيا وأستراليا، لإيصال كلمة الحق إلى الناس بما توزعه من المصاحف والكتب بواسطة الدعاة والمرشدين، وما يقومون به من محاضرات ودروس ولقاءات واتصالات بشتى الطبقات، وبأنواع الثقافات، ومن خلال المساجد والمدارس والجمعيات والمؤسسات الإسلامية التي تدعمها، وتساهم في تأسيسها وبنائها، بواسطة دعواتها المنتشرين في سائر أرجاء الأرض.

فالرئاسة توجه نشاطاتها فيما يقرب من خمسين بلدًا في إفريقيا وحدها، ولها أكثر من ألف داعية هناك يبلغون كلمة الإسلام، ويدعون إلى دين الله في المساجد والمجتمعات والمناسبات المتعددة، ويقومون بالتدريس والوعظ وإرشاد الناس بالحسنى إلى صراط الله المستقيم، وإلى العقيدة الصحيحة التي بلغها نبينا محمد ﷺ لأمته، وسار على نهجها الصفوة الأولى من هذه الأمة. وقد نفع الله بجهود هؤلاء الدعاة، وأخبار أعمالهم ظاهرة بحمد الله، حيث أسلم على أيديهم الجرم الغفير ممن أراد الله هدايتهم.

أما في أمريكا وأوروبا وأستراليا، فقد قامت الرئاسة ضمن جهود أخرى بإرسال العديد من الوفود، وذلك لمعايشة هذه الأقليات المسلمة، وتقصي الحقائق عن أوضاع المسلمين، وتقويم أعمالهم، ومعرفة ما يستجد بشأنهم وإيجاد الحلول لما يعترضهم من مشكلات، وبيان ما ينقصهم في عملهم الإسلامي.

وقد تمخض عن ذلك إرسال الكثير من الدعاة والمدرسين

إلى البلدان المحتاجة التي يوجد فيها أقليات مسلمة، ودعم الجمعيات والمراكز الإسلامية في بناء منشآتها ماديًا ومعنويًا مع تزويدهم بأمهات الكتب والمراجع العلمية، والنصح والإرشاد لهم، لعل الله ينفع بذلك.

أما في آسيا فتقوم الرئاسة بتوفير عدد لا بأس به من الدعاة في البلدان التي يوجد بها أقليات إسلامية لنشر الدعوة الإسلامية بينهم المبنية على أساس من العقيدة الصحيحة حسبما أخذها السلف الصالح عن رسول ﷺ، وفهمها أصحابه رضوان الله عليهم.

كما وضعت مكاتب ومشرفين لمتابعة أعمال الدعاة، وتوزيعهم حسب حاجة تلك البلدان، وبحث ما فيه مصلحة لدعم الجمعيات الإسلامية المعروفة بسلامة الاتجاه بعد التأكد من حاجتهم بالكتب الإسلامية، والكتابة إلى المؤسسات التعليمية لتزويدهم بالمقررات المدرسية، كما تقوم بالمساهمة في إكمال مشروعاتهم التي تعود على المسلمين بالنفع في دينهم

ودنياهم، كالمساهمة في بناء المساجد وترميمها وتزويدها بالمصاحف، وتوثيق المؤسسات الإسلامية للاطمئنان على سلامة القائمين على العمل وصدقهم، وذلك بإعطائهم توصيات خاصة لمحبي الخير لمساعدتهم في عملهم الخيري، وإرسال الوفود من الرئاسة لتفقد أحوال الأقليات ومعرفة احتياجاتهم الضرورية.

وكل ما ذكرت من عمل الرئاسة ودعمها للجمعيات الإسلامية والمراكز الإسلامية، وإرسال الدعاة وغير ذلك من أعمال إسلامية، كله إنما يتم بفضل الله سبحانه ثم بفضل حكومتنا الرشيدة، وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حفظه الله من كل سوء ونصر به الحق، وفسح في أجله على خير عمل.

وبهذه المناسبة التي تعقدها ندوة الشباب العالمية لبحث أوضاع الأقليات الإسلامية في العالم، أوصي إخواني الدعاة جميعاً بتقوى الله سبحانه وتعالى، والعمل بإخلاص في تبليغ هذا

الدين مستحضرين ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، في فضل الدعوة وآداب الدعاة، حيث قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وما ثبت عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة التي منها قوله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله»^(١)، وقوله ﷺ: «لأمر المؤمنين على بن أبي طالب ﷺ لما بعثه إلى خيبر: «فو الله

(١) سبق تخريجه.

لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(١).

ووصيتي لإخواني المسلمين في الأقليات الإسلامية وفي كل مكان أن يتقوا الله وأن يتفقهوا في دينهم، ويسألوا أهل العلم عما أشكل، وأن يحرصوا على تعلم اللغة العربية ليستعينوا بها على فهم كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ، وأول ذلك الاهتمام بكتاب الله فهماً وعملاً، كما جاء في الحديث الصحيح: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٢)، ثم قراءة كتب الحديث الموثوقة المعتمدة، وغيرها من كتب الفقه والعقيدة المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، وأن يتلقوا كل ذلك على أيدي علماء معروفين بالصلاح والتقوى وحسن العقيدة، والعلم الصحيح.

وعلى الإخوة العلماء في المجتمعات ذات الأقلية المسلمة أن ينشطوا في مجال الدعوة إلى الله بين إخوانهم وغيرهم، ولهم

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم (٥٠٢٧).

الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى.

وهذا العمل من أجل الأعمال وأعظمها كما تقدم في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، ثم بعد ذلك يجب عليهم تبليغ هذا الدين إلى من حولهم من الأمم الأخرى؛ لأنه دين الإسلام للناس كافة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّكَ فَادْعُوا بِحُجَّتِ اللَّهِ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا حُجَّتِي لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وهذه المجتمعات بأشد الحاجة إلى هذا الدين، والداعي إلى الله يحصل له الأجر العظيم إذا كان سبباً في هداية هؤلاء وإرشادهم لما خفي عليهم من أمور دين الإسلام؛ كما تقدم في قول النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»^(١).

فبهذه الدعوة يدخل في دين الله دين الإسلام إن شاء الله

(١) سبق تخريجه.

أفواج، ويقل عدد الكفار، فتصبح الغلبة إن شاء الله تعالى للمسلمين، وإن لم يتمكن المسلم في تلك البلاد من الدعوة فعليه أن يلتزم بدينه وأن يتخلق بالأخلاق والآداب الإسلامية؛ لأنها دعوة بالفعل، ولأنها محبة لذوي العقول الصحيحة، فيتأثر الناس غالباً بهذه الصفات الحميدة، ولقد دخل الإسلام إلى بعض جنوب شرق آسيا بأخلاق التجار من الأمانة والصدق في المعاملة.

ومتى عجز المسلم عن إظهار دينه في بلد إقامته بحيث لا يأمن على دينه وعرضه وماله، فإنه يجب عليه الهجرة إلى بلاد آمنة يستطيع فيها أن يؤدي شعائر دينه بأمن وراحة بال إذا استطاع ذلك؛ عملاً بالآيات والأحاديث الواردة في ذلك.

نسأل الله لنا ولهم ولجميع المشاركين في هذا المؤتمر التوفيق والسداد وصلاح النية والعمل إنه جواد كريم، وصلى الله على نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه

ياحسان إلى يوم الدين.

الطريق إلى جمع كلمة المسلمين على الحق^(١)

السؤال: التفرق والتمزق والاختلاف يسود الأمة الإسلامية كيف يمكن جمع كلمة المسلمين على الخير ونبذ الاختلاف والتفرق؟

الجواب: الطريق إلى جمع كلمة المسلمين على الحق ونبذ الخلاف والتفرق هو التمسك بكتاب الله وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام - والاستقامة على ذلك والتواصي بذلك والتعاون على البر والتقوى، ورد كل ما يتنازعون فيه إلى كتاب الله سبحانه وسنة رسول الله ﷺ وتحكيمهما في كل شيء كما قال الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٢٧/٣٥٩-٣٦١).

[النساء: ٥٩]، وقال عز وجل: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى: ١٠] الآية.

وأولو الأمر هم العلماء بدين الله المعروفون بحسن العقيدة والسيرة وأمراء المسلمين، ومتى حصل النزاع في شيء بينهم وجب رده إلى الله والرسول ﷺ، والرد إلى الله هو الرد إلى القرآن الكريم، والرد إلى الرسول ﷺ هو الرد إليه في حياته وإلى سنته الصحيحة بعد وفاته، وما حكما به أو أحدهما فهو حكم الله عز وجل.

فالواجب على جميع المسلمين حكومات وشعوبًا، علماء وأمراء أن يتقوا الله عز وجل بامثال أوامره، وترك نواهيه، وأن يحكموا كتاب الله عز وجلّ وسنة رسوله ﷺ فيما شجر بينهم عملاً بالآيتين السابقتين وعملاً بقوله عز وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وبقوله عز وجل: ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ [الذین ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ بِالصَّبْرِ] [العصر].

وعملًا بقوله عز وجل: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ونسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجمع المسلمين جميعًا في كل مكان، وأن يؤلف بين قلوبهم ويجمعهم على الهدى، وأن يعيدهم جميعًا من نزغ الأعداء، وأن يصلح قاداتهم، ويولي عليهم سميع قريب.

شرح حديث: «الدين النصيحة»^(١)

السؤال: سائل يطلب شرح حديث «الدين النصيحة...»؟

الجواب: هذا حديث عظيم رواه مسلم في الصحيح من حديث تميم الداري وله شواهد عند غير مسلم، يقول ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «الله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٢).

فهذا الحديث العظيم يدل على أن الدين هو النصيحة، وذلك يدل على عظم شأنها، لأنه جعلها الدين كما قال النبي ﷺ: «الحج عرفة»^(٣)، وهذا الحديث يدل على أن النصيحة هي الدين، وهي الإخلاص في الشيء والصدق فيه حتى يؤدي كما

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، المجلد الخامس والعشرون.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (١٨٢٩٧)؛ والترمذي: كتاب الحج، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع، رقم (٨٨٩)؛ والنسائي: كتاب مناسك الحج، باب فض الوقوف بعرفة، رقم (٣٠١٦)؛ وابن ماجه: كتاب المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع، رقم (٣٠١٥).

أوجب الله، فالدين النصيحة في جميع ما أوجب الله، وفي ترك ما حرم الله، وهذا يعم حق الله وحق الرسول وحق القرآن وحق الأئمة وحق العامة.

والنصيحة كما تقدم هي الإخلاص في الشيء والعناية به، والحرص على أن يؤدي كاملاً تاماً لا غش فيه ولا خيانة ولا تقصير، يقال في لغة الرب: ذهب ناصح، أي ليس فيه غش. ويقولون أيضاً: عسل ناصح، يعني ليس فيه غش.

وهكذا يجب أن يكون المؤمن في أعماله ناصحاً لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

فالنصيحة لله توحيده سبحانه وتعالى والإخلاص له وصرف العبادة له جل وعلا من صلاة وصوم وحج وجهاد وغير ذلك.

يعنى: أن يعمل في غاية الإخلاص لله، لا يعبد معه سواه، بل يعبد وحده، وينصح في هذه العبادة ويكملها، مع الإيمان به وبكل ما أمر به، وهكذا ينصح في أداء ما فرض الله عليه وترك ما حرم الله عليه، يؤدي ذلك كاملاً لعلمه بحق الله وأن

الله أوجبه عليه فهو يخلص في ذلك ويعتني به.

وهكذا في حق القرآن يتدبره ويتعقله ويعمل بما فيه من أوامر، وينتهي عن النواهي، وهو كتاب الله العظيم وحبله المتين، فالواجب العناية والنصح في ذلك قولاً وعملاً وذلك بحفظ الأوامر وترك النواهي، والوقوف عند الحدود التي بينها الله في القرآن الكريم حتى لا تخل بشيء من أوامر الله في القرآن، وحتى لا ترتكب شيئاً من محارم الله، مع الإيمان بأنه كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، هذا قول أهل السنة والجماعة قاطبة، كما قال عز وجل: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٤﴾ وَعَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٣﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال سبحانه: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ [الزمر: ١]. وقال عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ [القدر: ١]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه كلام الله سبحانه، وأنه منزل من عنده، فالمؤمن يؤمن بهذا كله وهكذا المؤمنة، ويعتقد كل منهما

أنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود خلافاً للجهمية ومن سار في ركايمهم من المبتدعة.

وهكذا النصح للرسول ﷺ، يكون بطاعة أوامره واجتناب نواهيه والإيمان بأنه رسول الله حقاً وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، مع الدفاع عن سنته والذب عنها، كل هذا من النصح للرسول ﷺ، وهكذا العناية بأحاديثه ﷺ وبيان صحيحها من سقيمها، والذب عنها والامتنال بها، والوقوف عند الحدود التي حددها الله ورسوله، كما قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا... ﴾ [البقرة: ٢٩٩] الآية.

هذه هي النصيحة للرسول ﷺ، وما زاد عن ذلك من أداء الواجبات وترك المحرمات كان كما لا للنصيحة وتاماً لها. فالحاصل أنه بعنايته بما أمر الله به ورسوله وما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله من الحقوق يكون قد نصح لله ولكتابه ورسوله؛ لأداء فرائض الله وترك محارم الله، والوقوف عند حدود الله،

والإكثار من الثناء عليه، وذكره سبحانه وتعالى وخشيته جل وعلا، كل هذا من النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ.

أما النصيحة لأئمة المسلمين فبالدعاء لهم والسمع والطاعة لهم في المعروف، والتعاون معهم على الخير وترك الشر، وعدم الخروج عليهم، وعدم منازعتهم، إلا أن يوجد منهم كفر بواح عليهم برهان من الله سبحانه وتعالى، كما جاء ذلك في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه في مبايعة الأنصار للنبي ﷺ.

ومن النصيحة لهم: توجيههم إلى الخير وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالأسلوب الحسن والرفق وسائر الطرق المفيدة عملاً بهذا الحديث الصحيح، وبقول الله عز وجل:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢].

وقوله سبحانه: ﴿ وَالْعَصْرُ ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر].

وأما النصيحة لعامة المسلمين فإنها تكون بتعليمهم وتفقيهم في الدين ودعوتهم إلى الله سبحانه وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإقامة الحدود عليهم والتعزيرات الشرعية كل هذا من النصيحة لهم. والله ولي التوفيق.

حكم التعاون والتآزر في أمر الدعوة إلى الله

السؤال: ما حكم التعاون والتآزر والتعاقد في أمر الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، خاصة وأن البعض يقول: إنه من البدع المحدثه؟

الجواب: التعاون مطلوب في الدعوة إلى الله، وفي كل خير، كما قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢].

وقال النبي ﷺ: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»^(١)

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٨/ ١٧٨، ١٧٩).

(٢) سبق تخريجه.

والله سبحانه يقول: ﴿وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر]، فإذا ذهب جماعة للدعوة إلى الله تعالى فعليهم أن يتعاونوا - في أي بلد أو في أي مكان - على البر والتقوى، هذا من أحسن الأشياء. والنبي ﷺ بعث سبعين من القراء إلى بعض القبائل للدعوة إلى الله والتعليم - عليه الصلاة والسلام -، وكان يبعث الدعوة إلى الله - أفراداً وجماعات - إلى القبائل لتعليمهم وتفقيهم في الدين، وبعث مصعب بن عمير ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة لتعليم من أسلم من الأنصار، وتفقيهم في الدين. المقصود أن التعاون على الدعوة وإرشاد الناس من اثنين أو ثلاثة أو أكثر ليتعاونوا، ويشجع بعضهم بعضاً، وليتذكروا فيما يجب من العلم والعمل ويتبصروا، هذا فيه خير كثير، لكن عليهم أن يتحروا الحق بأدلته، ويحذروا الأساليب المنفرة عن الحق، وعليهم أن يتحروا الأساليب المفيدة النافعة التي توضح

الحق وتبينه، وترغب فيه، وتحذر من الباطل، فهذا التعاون أمر مطلوب بشرط الإخلاص لله، وعدم قصد الرياء والسمعة، وأن يكونوا على علم وبصيرة.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
وجوب العناية بالأخوة المسلمين أفراداً وجماعات.....	٢٠
التضامن الإسلامي.....	٩
وجوب التعاون على البر والتقوى.....	٢٨
الرابطه الإسلامية هي أعظم الوسائل التي تربط بين المسلمين.....	٤٢
وجوب تحقيق تقوى الله عز وجل في امثال أمره واجتناب نهيه.....	٥٠
أخلاق المؤمنين والمؤمنات.....	٦٣
نصيحة عامة.....	٩٧

- شكر النعمة: حقيقته وعلاماته ١١١
- الأقليات الإسلامية: ظروفها وآمالها ١٣١
- الطريق إلى جمع كلمة المسلمين على الحق ١٤٧
- شرح حديث: «الدين النصيحة» ١٥٠
- حكم التعاون والتآزر في أمر الدعوة إلى الله ١٥٥
- الفهرس ١٥٩